492

HARLEQUIN

روايات أحلام

حبيبها

كارول مارينيللي

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

حبيبها

استخدموها لترتب سريره...
واذا بها تجد نفسها أسيرة حبه...

لازارو رينالدي ثري إيطالي مثير ، يختار نساءه تماما كما يختار سياراته... أنيقة... ساحرة... ومن السهل استبدالها بطراز أكثر حداثة... فسوء ظنه في النساء متجذر في أعماقه. ولكنه وجد في كاتلين ما أغراه للتقرب منها ...
وسرعان ما استعرت نيران الشك في قلبه ، ورأى أنها ليست بريئة بقدر ما تبدو عليه. أيعقل أن تكون قد خانته وخانت عائلته ؟ لن يسمح لها بأن تسخر منه.. وسينتقم منها بطردها من قلبه.. والزواج بها !

www.elrom

كارول مارينيللي

طُلب من كارول مارينيللي مؤخراً أن تدوّن في إحدى الاستمارات العمل الذي تشغله، فكانت سعيدة جداً لتمكنها أخيراً بعد كل تلك السنوات من تدوين كلمة «مؤلفة». وبجانب خانة «النشاطات التي تريح أعصابها»، لم تتردد كارول كثيراً قبل أن تدون عبارة «الكتابة».

أما عندما وصلت إلى خانة الهوايات، فلم تشأ أن تبدو مهووسة بالكتابة، ففكرت ملياً وكتبت: «السباحة والتنس». ولكن بما أن الكلور الموجود في «أحواض السباحة يتلف شعرها» ومشاهدة مباريات التنس أسهل بكثير من ممارستها، يمكنكم أن تتصوروا ما هي هوايتها الحقيقية!

تمهيد

- وصل رينالدي!

وسرت في قاعة الاستقبال في الفندق المترف موجة من الترقّب؛ وإذا بالحاجب يومئ برأسه للبواب محذراً، بينما كان هذا الأخير يلوح بدوره لموظف الاستقبال. ولم تكد سيارة الليموزين الفخمة تتوقف أمام الباب الأمامي حتى استقامت فجأة ظهور الحاضرين، وسارعت الأيادي إلى تسوية ربطات العنق أو ترتيب خصلات الشعر المشعثة..

طرف المدير غلاين بعينه بعصبية وأبعد خصلة من شعره تدلت على وجهه قائلاً: «السؤال الذي يطرح نفسه هو.. من منهما؟».

كان الجواب بالنسبة إلى كائلين أكثر أهمية مما قد يدرك المدير...

ففي هذا المكان حيث تعمل كمتدربة، لا يفترض أن تعير كائلين اهتماماً لهوية القادم في سيارة الليموزين فكلا التوأم رينالدي أسطورة.

تولى لازارو ولوكا رينالدي إدارة سلسلة الفنادق العالمية الفخمة، وكانا مع أختهما الصغرى، الورثة الوحيدين للأموال الطائلة التي جمعها والدهم وخلفها وراءه بعد وفاته منذ سنة تقريباً.

هل كانت وفاته مؤثرة؟ أجل..

وهل استحقت أن تتصدر أخبار الصحف ونشرات الأخبار؟ كلا.

إلا إذا وقعت تلك الثروة الهائلة بين أيدي توأم متطابق في الشكل وغاية في الوسامة... ليس شخصاً واحداً بل اثنين خاليين من العيوب،

www.elromancia.com

تطالعنا أخبار حياتهما الماجنة باستمرار في الصحف. فمنذ وفاة والدهما، وزواج أختهما واستقرارها هنا، اتخذ التوأم من ملبورن مقراً لهما... فأثبتا أنهما مستهتران، لا يتكبدان عناء الاعتذار أو تقديم التبريرات لأحد. وقد نشرت الصحف الأسبوع الماضي خبر تورّط لوكا في عراك في الكازينو، هذا إلى جانب بعض الفضائح الأخرى التي ما زالت عالقة في ذاكرة كاتلين.

ترجل من سيارة الليموزين رجل يرتدي بذلة سوداء، فوجدت إيفي نفسها تحبس أنفاسها.

سألت هامسة: «من هذا؟».

- لست واثقاً بعد...

ثم تابع غلين قائلاً بنبرة ساخرة: «إنهما متشابهان جداً... وكلاهما في غاية الوسامة».

تمنّت كاتلين في سرها أن يكون لازارو... ليس لأنه الأكثر قوة أو لأنه يتمتع بشخصية قيادية بكل ما للكلمة من معنى، بل لسبب قد يجد غلين صعوبة في تصديقه.

ولفت انتباهها الصندل الذي ظهر من خلف باب السيارة، فعضت على شفتها، وتساءلت في سرها عما يمكن أن تفعله إذا ما ظهرت روكسان أمامها... كيف يمكن أن يكون رد فعل العاملين في الفندق إذا ما عرفوا الحقيقة الغريبة؟

فلوكا رينالدي يواعد ابنة عمها...

- إنه لازارو..

واجتاز صاحب البذلة السوداء الأبواب الدوارة من دون أن ينتظر رفيقته..

قطّبت كاتلين وسألت غلين: «كيف يمكنك التأكد من الأمر؟ قلت لي إنهما متشابهان».

همس غلين قبل أن يتقدم إلى الأمام ليرحب برب عمله: «لازارو لا

ينتظر أحداً.. حتى أجمل نساء العالم».

هذه ليست المرة الأولى التي تراه فيها فقد شغلت صورته غلاف إحدى المجلات الخاصة بالأعمال منذ فترة وجيزة.. إلا أن كاتلين لم تكن مستعدة لرد فعلها عند رؤيته أمامها بلحمه ودمه... فقد انبعثت من قامته الطويلة هالة من الثقة بالنفس والعجرفة. ومع اقترابه من مكتب كاتلين بخطوات ثابتة وكأنه يقول لمن حوله إنه سيد المكان بلا منازع، أدركت أنه لم يكن ساحراً وحسب بل وسيماً إلى حد يفوق الوصف فشعره الشديد السواد أطول مما بدا في الصورة، وهو يغطي جبينه... أما عيناه... أطلقت كاتلين تنهيدة عميقة وهي تتأمل عينيه السوداوين اللتين تحميهما رموش كثيفة. التقت نظراتهما لثوانٍ قليلة، لكنه سرعان ما أشاح بنظره بعيداً من دون أي يظهر أي اهتمام بها.. لكن صورته انطبعت في ذهن كاتلين لتتمكن من التمعن بها لاحقاً في أوقات فراغها... فتتأمل من جديد ذلك الأنف المستدق، وتلك البشرة الرقيقة السمراء، وذلك الفم الممتلئ والمثير.

وعندما أدركت أنها تتفرس فيه لاهثة، أبعدت عينيها عنه والتفتت نحو المرأة التي كانت تسير وراءه والتي ارتمت على إحدى الأرائك الوثيرة في البهو منتظرة ريثما ينهي معلمها أعماله... لم تتمكّن كاتلين من كبح الابتسامة الساخرة التي ظهرت عند طرف فمها.

صحيح أن تلك المرأة ليست روكسان، لكن كان من الممكن أن تكون هي..

لا بد أن هذه المرأة الساحرة الجمال التي ترافق لازارو بذلت ما في وسعها لتبدو على طبيعتها عندما وضعت زينتها.. كان شعرها الداكن اللامع ينسدل على كتفيها الشديدتي السمرة، سمرة اكتسبتها حتماً من تمضية ساعات طويلة تحت أشعة الشمس.

- أهلاً بك سيدي.

ومد غلين يده مصافحاً لكنها بقيت معلقة في الهواء..

- كيف تسير الأمور؟

لم يرد التحية بالمثل وراحت عيناه تتفحصان غرفة الاستقبال بتمعن قبل أن يسأل: «هل واجهتم أي مشكلة؟».

- إطلاقاً.

- هل جاء لوكا إلى هنا؟

- ليس بعد.

لم يخبره غلين عن الاتصال الذي تلقاه من أخيه في وقت سابق حيث طلب منه إخلاء أفضل غرفة في الفندق وتهيئتها استعداداً لوصوله.

- كيف تسير التحضيرات لحفل الزفاف؟

- على أفضل ما يرام.

تسمّرت نظرات لازارو النارية عليه فعلت الحمرة خديه، وأضاف قائلاً: «حسناً، واجهنا مشكلة صغيرة لكننا نعمل على حلها».

رفع لازارو حاجبيه وأومأ بيده مطالباً بالمزيد من المعلومات من دون أن ينبس ببنت شفة.

- والد العروس، السيد دانتون...

قاطعه لازارو قائلاً: «غاس دانتون هو من أعز أصدقائي».

على الرغم من أن لغته الانكليزية ممتازة إلا أنّ صوته العميق الأجش ذا اللكنة الخفيفة حمل لمسة تحذير..

طرفت كاتلين بعينيها؛ إذا كان صحيحاً أنه مقرب منه، فلمَ لم يحضر لازارو حفل الزفاف؟ احتفظت كاتلين برأيها لنفسها لكن لازارو أثبت أنه بارع في قراءة الأفكار لأنه تنازل ورماها بنظرة سريعة وقال وكأنه يجيب عن تساؤلاتها: «لا يمكنني التفرغ دوماً لحضور حفلات الزفاف التي أدعى إليها... لكن بما أن السيد دانتون اختار فندقي، وهو صديق عزيز على قلبي، قررت الحضور لبعض الوقت.. وأرجو ألا نواجه أي مشاكل...».

- طلب إبقاء المطعم مفتوحاً لساعة إضافية، فلم نجد أي مانع على

الإطلاق. لكن بطاقة اعتماده رُفضت لعدم توفّر الرصيد المطلوب.

وكنت متوجهاً في هذه اللحظة بالذات للتحدث إليه.

مال لازارو برأسه نحو كاتلين قائلاً بلامبالاة: «أريد كافة المعلومات المتوفرة عنه».

على الرغم من أنها أمضت الليل بطوله في جمع المعلومات عن النزلاء، إلا أنها المرة الأولى التي تخضع فيها مهاراتها للاختبار في ظل ظروف تسبب التوتر.

سارع غلين نحو الكومبيوتر قائلاً: «كاتلين موظفة متمرنة...».

لكن النظرة الغاضبة التي رماه بها لازارو جعلته يتلعثم قليلاً قبل أن يستطرد قائلاً: «إنها طالبة في كلية الفندقية...».

- ومنذ متى يعمل المتدربون حتى ساعة متأخرة من الليل؟

حدّق لازارو في الشارة المعلقة على صدرها والتي تحمل اسمها ثم أخفض نظره إلى حذائها المصنوع من الجلد السويدي، قبل أن يرفعه مجدداً ليتأمل لباسها الرسمي المؤلف من تنورة زرقاء داكنة وقميص أبيض. وبينما كان غلين يتحدث بعصبية، راح يتفرس في وجهها ببطء، ممعناً النظر في عينيها الزرقاوين، مثيراً في أحشائها إحساساً غريباً.

- أرادت كاتلين الاطلاع على كيفية سير العمل في الأمسيات التي تشهد اكتظاظاً....

ليت أحدهم أنبأها بقدومه ليتسنى لها أن تسرع إلى الحمام وتعيد تسريح شعرها الأشقر الكث!

- وهل كانت تتعامل مع النزلاء؟

- أجل لكننا نراقبها عن كثب...

- هل كانت مسؤولة عن جمع المعلومات عن النزلاء؟

أومأ غلين برأسه مجيباً: «أجل، لكن تحت إشرافنا المباشر».

لم يكن يقول الحقيقة لأنه غالباً ما يخرج ليدخن سيجارة، لكن كاتلين لن تفضح أمره أمام لازارو.

www.elromancia.com

أجاب لازارو بنبرة لا يمكن إلا لشخص مغرور مثله أن يتقنها: «إذا كانت بارعة في التعامل مع النزلاء في فندقي فهذا يعني أنها ستبرع في التعامل معي».

قررت كاتلين في سرها أن تعبّر له عن رأيها بصراحة إذا استمر في استعمال صيغة المجهول للتحدث عنها. لكن عندما وقعت عيناه السوداوان عليها، تلاشت نواياها السابقة كلها.

لعلها عاجزة عن التعبير عن نفسها، لكن يمكنها أن تفكر في ما يحلو لها. فعلى الرغم من مظهره الرائع، كان لازارو رجلاً فظاً، متعجرفاً وكريهاً. وعلت الحمرة خديها من شدة انزعاجها وارتباكها، فأخطأت في الطباعة وسارعت إلى تصحيح خطأها.

وبعد مرور وقت طويل، ظهرت بيانات غاس دانتون على الشاشة أمامها..

- حسابه الخاص.

تململ لازارو متوقعاً من كاتلين أن تصل إلى الصفحة المطلوبة بمجرد الضغط بسرعة على الأزرار لكن نفاد صبره ضاعف من ارتباكها.

وفجأة، وجدته يقف خلفها ويمد يده ليمسك بفأرة الكومبيوتر ضارباً بجهودها كلها عرض الحائط. أرادت أن تتراجع إلى الوراء لكنه وقف خلفها تماماً. وأرادت أن تتنحى جانباً ليتسنى لها الإمساك بزمام الأمور لكن يده كانت تعلو يدها.

لعل الترقّب المشوب بالخوف أو توتر أعصابها جعلها تضغط مرتين على الفأرة وليس مرة واحدة فتلاشت في تلك اللحظة بالذات آمالها في الحصول على شهادة خبرة من فندق رينالدي بعد انتهاء فترة تدربها فيه فقد محت كافة المعلومات المالية المتعلقة بأحد أهم زبائن لازارو رينالدي أمام ناظريه. وتساءلت كاتلين في سرها لما لم يحرك ساكناً، وراحت تضغط بعصبية على السهم المخصص لاسترداد المعلومات وقد أحست بعرقها يسيل بغزارة بينما راح هو يحرك يده يميناً وشمالاً.

شعرت بأنفاسه على الجهة الخلفية من عنقها وقد ظهر أمر غير مألوف على الشاشة..

- ضعي سوزان في السرير...

- ماذا؟

كان عليها أن تضغط على زر الإلغاء. لكن ما إن ضغطت على زر الموافقة حتى تذكرت معنى ذلك الأمر السريع والغريب.. فهو يعني ألا تطفئ جهاز الكومبيوتر، وألا تقوم بالشيء الوحيد الذي حذرها غلين من القيام به.. لكن مع تحول الشاشة إلى صفحة سوداء، أدركت كاتلين أن سوزان لم تخلد إلى الفراش فحسب بل راحت تغط في نوم عميق ومن الصعب جداً إيقاظها، في حين أنها سجلت في مكان ما في جهاز الكومبيوتر، أسماء النزلاء وحركة الدخول والمغادرة المستمرة في الفندق.

لم تكن كاتلين معتادة على إطلاق الشتائم، خاصة أمام رب عملها، لكن الشتيمة أفلتت منها قبل أن تتمكن من كبحها. وظهرت إمارات التحذير على وجه غلين لتؤكد لها أن كلماتها بلغت مسمعه.

سألها غلين قلقاً: «هل كل شيء على ما يرام؟».

رفعت كاتلين وجهها لتواجه أهون الشرّين، ولم تجد عزاءً في الرعب الذي بدا على وجه غلين، رعب وازى إمارات الذعر التي علت وجهها.

- هل كل شيء على ما يرام؟

- يبدو أنّ ثمة مشكلة في النظام.

بذلت كاتلين جهداً لتتحدث بنبرة هادئة، جاهدت شفتاها لتنطق بالكلمات بينما تحوّل جسدها إلى قطعة من جليد. وتمنت في سرها لو أنها عادت إلى منزلها عندما سنحت لها الفرصة..

سألها غلين غاضباً: «ما الذي تقصدينه بحق السماء؟».

وسارع إلى الجهة الأخرى من المكتب مضيفاً: «ثمة مشكلة في النظام؟ ما الذي فعلته يا كاتلين؟».

أدركت كاتلين أن حياتها المهنية انتهت وهي لا تزال في بدايتها فالعاملون كلهم يتحدثون عن طباع لازارو الأسطورية، وهي لا ترغب أبداً في أن تكون شاهدة عليها. استجمعت قواها كلها لمواجهة لسانه اللاذع، والكلمات القاسية التي ستضج بها قاعة الاستقبال وهو يعبّر بصراحة عن رأيه في قدراتها على استخدام الكومبيوتر وفي عملها في هذا الفندق الفخم، ورفعت رأسها نحوه لتواجهه.

سرعان ما تحولت إمارات الخوف البادية على وجهها إلى ذهول أمام عينيه الخاليتين من أي تعبير عدائي، لا بل رأت طيف ابتسامة عند طرف ثغره.

رفع يده قائلاً لمدير الفندق: «لا بأس يا غلين. عليك أن تهتم بالنزلاء».

والتفت نحو الزوجين اللذين وقفا عند مكتب الاستقبال بانتظار أن يسلمهما أحدهم مفاتيح غرفتهما.

- كما قالت كاتلين. ثمة مشكلة بسيطة في النظام ويمكنني أن أهتم بالأمر.

هل صحيح أن ثمة مشكلة في النظام؟

أدارت كاتلين نظراتها الحادة نحو شاشة الكومبيوتر التي راحت تتمايل أمامها، بينما توجه غلين نحو الزوجين للاهتمام بهما.

- يمكنني معالجة الأمر.

مال لازارو فوقها فتسمرت كاتلين مكانها ويدها مثبتة على الفأرة وكأنها متجمدة. أطبقت يده الدافئة على يدها وقادتها نحو السهم الأحمر في الأعلى لتغلق البرنامج، وهو أمر كانت كاتلين واثقة تمام الثقة من أنه لا يفترض بها أن تفعله. أخذ قلبها يتخبط بين ضلوعها عندما أبعد يده عن يدها... ولم تجد بداً من الابتعاد عنه. إلا أنها لم تفعل، وبقيت واقفة مكانها تتأمل يديه وهما تحيطان بخصرها برقة وتدفعانها نحو لوحة المفاتيح... وأحست بغصة في حلقها وهي تتأمله

يسجل الدخول بسرعة لافتة ومن دون أي أخطاء، ويطبع التفاصيل اللازمة لاسترداد المعلومات الخاصة بغاس دالتون.

- من حسن حظنا أننا تمكّنا من استرداد المعلومات كلها!

كان صوته هامساً في أذنها، وانتظرت كاتلين أن تغمرها موجة من الارتياح... انتظرت أن تفلت تنهيدة امتنان من بين شفتيها بعد أن اجتازت تلك المحنة من دون أضرار لكن من دون جدوى.. فقد أبى جسدها أن يذعن لنداء الاسترخاء، وراح ذهنها يردد على مسمعها أن الوقت ليس مناسباً للشعور بالرضا عن الذات.. وأحست بكل عصب من أعصاب جسمها في حالة من التأهب القصوى... كما راحت كل خلية من خلاياها ترتعش من حدة التوتر... ولعل أكثر ما أثار استغرابها هو أن ذلك لم يكن وليد قلقها على وظيفتها أو انزعاجها من الخطأ الذي ارتكبته على مرأى من رب عملها.. بل بسبب تأثير الرجل الواقف وراءها، برائحته التي تعبق في أنفها ورجولته النابضة التي لا يمكن غض الطرف عنها.

طرفت كاتلين بعينيها قائلة: «كيف فعلت... قال غلين إنه عندما تخلد سوزان إلى السرير...».

- ترسل البيانات كلها إليّ بشكل آلي.. ولا يمكن محو أي معلومة عن جهاز الكومبيوتر إلا بعد موافقتي على ذلك.

- الحمد لله!

- شرط ألا تحاولي القيام بعملية اختلاس؟

وتوقف عن الطباعة وأرخى قبضته عن يدها ثم ابتعد عنها، فتنفست كاتلين الصعداء قبل أن تستدير لتواجهه.

- طبعاً لا!

- أو تسمحي لرفاقك بالنزول في الجناح الملكي لقاء كلفة الغرفة العادية؟

- أرجوك!

– أو تمضي الوقت في الاطلاع على بريدك الالكتروني وإجراء الصفقات عبر الانترنيت؟

– لا!

لم تضحك كاتلين حتى أنها واجهت صعوبة في رسم ابتسامة على ثغرها..

– أو تقرئي ما يخبئه لك طالعك؟

لم تحاول كاتلين النكران... وإذا بموجة قرمزية مربعة تكسو وجهها، وخانتها شجاعتها فلم تقوّ على رفع بصرها نحوه.

ولم تكد تمضي لحظات قليلة حتى علا صوت غلين قائلاً: «هل كل شيء على ما يرام؟».

هز لازارو كتفيه وأجاب قائلاً: «طبعاً.. تبين لي أن غاس سدد المبلغ المتوجب عليه قبل ٤٨ ساعة من حفل الاستقبال...».

رد غلين متلعثماً: «نعم، لكني أردت أن أنبهه...».

– لازارو!

عبر غاس دانتون البهو وقد ظهرت ابتسامة عريضة على وجهه الذي ينبض بالحياة..

– انضم إلينا.

أومأ لازارو برأسه قائلاً: «كنت على وشك الدخول.. أظن أن الحفل كان جيداً؟».

أجاب دانتون بحماسة: «كان الحفل رائعاً ولا تشوبه شائبة.. في الواقع...».

وتوقف قليلاً عن الكلام ثم التفت نحو غلين ليسأله: «هل سويت مسألة المطعم كما طلبت منك أن تفعل؟».

سارع لازارو إلى الرد: «لا تقلق... سنرسل لك فاتورة مفصلة في الأسبوع المقبل».

– إنها مجرد تفاصيل ثانوية... انضم إلينا يا لازارو...

– سألحق بك في الحال.

وتوجه غاس عائداً إلى قاعة الحفلات فيما أومأ لازارو لرفيقته الجميلة برأسه، فوثبت من مكانها بسرعة ما جعل كاتلين تشبهها بكلب فائق الحماسة، أدرك فجأة أن صاحبه سيأخذه في نزهة.

تسمّر الموظفون في أماكنهم يتأملون لازارو وهو يتوجه نحو قاعة الحفلات، وقد علت وجوههم ابتسامة مهذبة. وكان من السهل على المرء أن يشعر بالتوتر يزول من الأجواء عندما فُتحت أبواب القاعة ليتمكن لازارو ورفيقته من الدخول. لكن ما إن بدأت الأكتاف بالاسترخاء، واستعد الجميع لتنفّس الصعداء حتى استدار على عقبيه وعاد نحو مكتب الاستقبال وهو ينظر إلى كاتلين مقطباً جبينه.

سألها قائلاً: «لمَ فعلت هذا؟ هيا، أجيبيني.. أنت هنا لتتعلمي... لمَ اخترت أن أغض الطرف مع أنه تبين لي أنه يعاني من نقص في السيولة؟».

تحولت نظرات كاتلين نحو غلين متوسلة إليه أن يساعدها. وعندما لم تلقَ تجاوباً، أرغمت نفسها على النظر إلى لازارو مجيبة: «ربما لأنه صديقك؟؟».

لاحظت أن عبوس وجهه ازداد حدة فأحست كاتلين وكأنها تلقت صفعة جديدة...

– ربما لأنه نزيل في الفندق ولا تريد أن تحرج موقفه هذا المساء..

عبثاً حاولت كاتلين أن تجد الرد المناسب...

– أو ربما لأنه سدد الحساب مسبقاً....

بدا واضحاً أنها ليست على الدرب الصحيحة فسارع ذهنها إلى التفكير في جواب على مستوى توقعاته لكن من دون جدوى. ووجدت كاتلين نفسها مرغمة على الاعتراف بفشلها واستعدت لمواجهة وابل الاهانات الذي سينهال عليها.. إلا أنها لم تتوقع أبداً أن يأتي رد فعله كما جاء إذ قال: «إنها أسباب وجيهة ولكن...».

www.elromancia.com

واخترقت ابتسامة أخرى قناع القسوة الذي كسا وجهه، ابتسامة كانت كاتلين المستفيدة الوحيدة منها فأحست وكأن نور الشمس بهرها على حين غرة فأعمى بصرها..

- إنه أب لثلاث شابات عازبات إلى جانب تلك التي يحتفل اليوم بحفل زفافها. وإذا جرت الأمور على ما يرام هذا المساء، فأتوقع أن يقيم حفلات زفافهنّ في هذا الفندق...

وتوقف فجأة عن الكلام وكأنه شعر بالملل، واستدار من جديد وعاد إلى رفيقته ليتوجها معاً إلى قاعة الحفلات.

كانت جدران قاعة الاستقبال تعج بالساعات التي تشير إلى التوقيت المحلي في مختلف بلدان العالم. كانت الساعة الثانية عشرة إلا عشر دقائق ليلاً في ملبورن... والثانية إلا عشر دقائق من بعد الظهر في لندن، والتاسعة إلا عشر دقائق صباحاً في نيويورك. راحت كاتلين تحملق فيها وكأنها تحاول أن تثبتها في ذهنها. وتجلّت لها في تلك اللحظة حقيقة الصورة: إنها المرة الأولى التي تدرك فيها معنى عبارة «وتوقفت عجلة الزمن عن الدوران».

لأنها الحقيقة...

عند الساعة الثانية عشرة إلا عشر دقائق، كانت عينا كاتلين مسمرتين على لازارو، تراقبانه وهو يدخل القاعة ويختفي بين الحشد، حاملاً معه جزء صغيراً من قلبها الفتي الرقيق.

قال لها غلين في وقت لاحق: «يمكنك الذهاب إلى المنزل. لم يعد لدينا الكثير من العمل.».

- لكن سيكون لدينا الكثير لنفعله بعد انتهاء حفل الاستقبال.

أرادت كاتلين التذرّع بأي حجة لتخفي رغبتها الشديدة في البقاء.

- نحن نسيطر على الوضع.

- ما الذي ستفعله بشأن لوكا؟ فالغرف المميزة محجوزة كلها من أجل حفل الزفاف.

- عندما يصل إلى هنا، سيكون عاجزاً عن التمييز ولن يأبه ما إذا وضعته في الغرفة المخصصة لأدوات التنظيف.

وابتسم غلين ثم أضاف: «هل فكرت في الاقتراح الذي عرضته عليك؟ أقصد بشأن العمل هنا خلال العام الدراسي، فمعظم الموظفات اللواتي يهتممن بالغرف طالبات جامعيات».

أومأت كاتلين برأسها قائلة: «سأقدّم سيرتي الذاتية نهار الاثنين».

- يمكنك أن تدوّني اسمي كمرجع أساسي. أبليت بلاءً حسناً هذا المساء.

وناولها إيصالاً بالدفع لسيارة الأجرة.

- ما هذا؟؟ لا داعي لذلك.

- لا تقلقي.. لست كريم الأخلاق إلى هذا الحد. أصر لازارو على أن يدفع الفندق بدل انتقال للموظفين الذين يعملون حتى ساعة متأخرة من الليل. وبما أنك موظفة هنا، لن يرضى إلا أن نعاملك على هذا النحو.

علقت كاتلين قائلة: «لا أصدق أنه رجل لطيف إلى هذا الحد... على الرغم مما يقوله الجميع؟».

تنهد غلين مجيباً: «لسوء الحظ.. وهذا الأمر يدفعنا إلى غض الطرف عن طباعه الحادة».

وقفت كاتلين أمام باب الفندق تنتظر وصول سيارة الأجرة، وراحت تتبادل أطراف الحديث مع الحاجب وهي ترتجف من شدة الإرهاق. لكن سرعان ما نسيت إرهاقها عندما رأت رفيقة لازارو المثيرة تخرج من باب الفندق غاضبة وتستقل سيارة الليموزين بمفردها...

علق الحاجب بنبرة خبيثة بعد أن اختفت سيارة الليموزين في ظلمة الليل: «شجار العشاق.. أكنت تعتقدين أنه يتمتع باللياقة المطلوبة ليتريث حتى الصباح ثم يتخلص منها؟».

حاولت كاتلين الحفاظ على رباطة جأشها، مع أن وجهها بدا أشبه

www.elromancia.com

بكتلة متقدة.

- هل مضى وقت طويل على علاقتهما؟

- إنها المرة الأولى التي أراها فيها. . سأعاود الاتصال بسائق سيارة الأجرة. . . أخشى أن يكون مشغولاً بمشاهدة مباراة كرة المضرب. لمَ لا تنتظري في البهو وسأناديك عند وصوله؟

استدارت كاتلين على عقبيها لتدخل الفندق وإذا بها تُفاجأ برؤية لازارو رانالدي يخرج من الباب الزجاجي الدوّار. . . مر بقربها وابتسم لها قائلاً: «لست أدري ما إذا كنت تستعدين لمغادرة عملك في هذه الساعة المتأخرة أو ما إذا وصلت إليه في هذه الساعة المبكرة».

أجابته كاتلين متلعثمة: «إنني أنتظر سيارة الأجرة».

- ستنتظرين طويلاً. . انتهت مباراة كرة المضرب منذ قليل. . .

- علمت بالأمر.

فقال لها ببساطة مطلقة، تماماً مثل أي شخص عادي: «هل تسمحين لي بأن أوصلك؟».

لكنه لم يكن رجلاً عادياً، ووجدت كاتلين صعوبة في إيجاد رد عادي فتسمرت في مكانها عاجزة عن الكلام فيما توقفت أمامهما سيارة رياضية الطراز، فضية اللون، باهظة الثمن، وسلّمه السائق المفاتيح.

قالت له بنبرة متفاخرة: «توقعت سيارة ليموزين».

ورفعت أنفها بنفور وهي تتأمل تلك السيارة الرائعة إلا أنها ما لبثت أن شعرت بالذعر وقد خشيت ألا يفهم مزاحها الغريب.

- يؤسفني ذلك، لكن عليك الاكتفاء بهذه. .

لم يفهم مزاحها فحسب بل شارك فيه أيضاً. . وبينما كان الحاجب يفتح لها باب السيارة، وقف لازارو يحدق في الفرش المصنوع من الجلد المترف قائلاً لها: «يمكنني أن أجلب لك جريدة أو أي شيء من هذا القبيل لتتمكني من الجلوس عليها فلا تتغضن تنورتك».

- لا بأس.

وأطلقت تنهيدة عميقة ثم صعدت في السيارة لتغرق في المقعد الجلدي الوثير وهي تبتسم له. أعطته عنوان منزلها فأدخله على الفور في النظام الذي جُهّزت به السيارة.

ونسيت فجأة قلقها وراحت تتبادل معه أطراف الحديث.

سألها لازارو بينما كانت تتحدث عن دراستها: «كم تبلغين من العمر؟».

- عشرون سنة.

رفع نحوها نظراته المفعمة بالشك، فأذعنت قائلة: «سأبلغ العشرين من العمر نهار الخميس».

حفظ التاريخ في ذهنه ليطلب من مساعدته الشخصية أن ترسل لها الورود وتحجز طاولة لاثنين. . . وفجأة، بدا نهار الخميس وكأنه بعيد جداً. . .

علا صوت رقيق من جهاز الملاحة قائلاً: «استدر إلى اليسار عند المنعطف التالي فتجد وجهتك إلى اليمين».

قال لازارو مبتسماً وهو يطفئ المحرك ويلتفت نحوها: «المشكلة في هذه الأنظمة هي أنني لا أستطيع الادعاء بأنني أضعت الطريق لأبقى برفقتك مدة أطول».

أجابته كاتلين وقد أحست بقلبها يثب بين ضلوعها لدى سماعها غزله الجريء: «أعرف جيداً عنوان منزلي».

- إنه مكان جميل!

كانت كاتلين تقيم في شارع راقٍ على مسافة قريبة جداً من الشاطئ. ولم يتمكن لازارو من أن يخفي ذهوله عندما تبين له أنها ما زالت تقيم في منزل ذويها.

- يبدو أن أحدهم لا يزال مستيقظاً.

- إنها أمي.

قطبت كاتلين جبينها لدى رؤيتها أحدهم يبعد الستائر وقد أحست

www.elromancia.com

بالإحراج لمعاملتهم لها كما لو أنها لا تزال فتاة مراهقة.

- أو جدي!

بدا أن الأمر لم يزعجه على الإطلاق، ربما لأنه لم يعتد إلا على الخروج برفقة نساء مغريات، يدعونه للصعود إلى منازلهنّ...

- من الأفضل أن تدخلي إلى المنزل.

أمعن النظر في قسمات وجهها وقد تملكته رغبة لا تقاوم في معانقتها؛ فلازارو يعرف جيداً كيف يجعل المرأة تواقة إلى المزيد.

قال في سرّه وهو يتأملها «يا لها من فتاة ساحرة».

ظهر طيف ابتسامة على ثغره وهو يقود سيارته في ظلمة الليل... يمكنه أن يفاجئها نهار الاثنين ويتصل بها... ربما تساعده رفقتها على نسيان مآسيه.

تململ لازارو في مقعده وقرر أن يتصل بها بعد الانتهاء من مشكلة لوكا..

لوكا...

ارتسمت القسوة على وجهه عند تفكيره في شقيقه التوأم... لا يستطيع أن يستخف بالمهمة التي تنتظره... وفجأة، بدا نهار الاثنين قريباً جداً إلى حد لا يحتمل.

١ - وبعد سنوات

- لقد عضضته!

سمرتها النظرات القاسية التي كانت عيناه السوداوان ترمقانها بها في مكانها قرب طاولة المكتب. لم يكن لازارو في مزاج يسمح له بأن يعالج مشكلة من هذا النوع، لاسيما وأنه لم يعتد الاهتمام بالخلافات التافهة التي تقع بين الخدم.

أجابت كاتلين بسرعة: «لم أعضّه».

طرف لازارو بعينه. لم يتوقع منها أن تنكر الأمر لاسيما في وجود دليل واضح على ما فعلته. لكن ثورتها وسخطها أكدا له أن المشكلة التي حطت في مكتبه عند الساعة الخامسة من بعد ظهر نهار الجمعة، لم تكن تافهة. فقد استقالت مساعدته الشخصية نهار الأربعاء الماضي لأسباب قاهرة وأصيبت سكرتيرتها بالأنفلونزا التي سرعان ما انتشرت بين العاملين في الإدارة ما جعل لازارو مرغماً على معالجة مسائل خارجة عن اختصاصه. لكنه لم يجد أي مانع في الاطلاع على هذا السيناريو بالذات. نظر بطرف عينه إلى الملف الموضوع على مكتبه، وقد أدرك أن عليه أن يستمع إلى رواية كاتلين للحادثة.

لكنه لم يكن يرغب في ذلك.

- كانت مجرد عضة بسيطة..

والتقت عيناه بعينيها الزرقاوين... عينان بدتا مألوفتين نوعاً ما..

www.elromancia.com

عينان تضاهيان عيني روكسان زرقة..

لمَ خطرت هذه الفكرة في باله بحق السماء؟

لم تكن هذه المرأة تشبه روكسان على الإطلاق...

فشعر كاتلين أشقر بينما شعر روكسان أسود داكن... والمرأة التي تقف أمامه دقيقة البنية في حين أن روكسان ممتلئة القوام.. ولكن هاتين العينين... ابتلعت كاتلين ريقها في محاولة منها لإخفاء اضطرابها الداخلي. كان ساخطاً من نفسه لأن ذكرياته الأليمة اختارت وقتاً غير مناسب لتتدافع في رأسه.

- لم أزرع أسناني في يده!

بذل لازارو جهداً ليركز على الحديث الذي يدور بينهما، وقد غمرته موجة من الامتنان لأنه تمكّن من التخلص من أفكاره السوداوية. وجد صعوبة في كبح الابتسامة التي ظهرت على ثغره عند سماعه تعليقها، وتخيل أمامه مولفوليو وهو يصرخ متوعداً وقد لف يده بمنديل وكأنها تكاد تقع أرضاً. لم يكن لازارو يملك أدنى فكرة عما ينتظره عندما استدعاها إلى مكتبه فهو ليس الشخص المناسب للتعامل مع الخدم في الفندق. وفي المرات القليلة التي اضطر فيها للقيام بذلك، كان يراهنّ يرتعشنّ أمامه خلافاً لهذه الفتاة.

لقد رفضت هذه الفتاة دعوته للجلوس، وفضلت الوقوف قرب مكتبه، مستجمعة قواها كلها لئلا تظهر اضطرابها. راح لازارو يتأمل شعرها الطويل الأشقر الذي اعتادت ربطه إلى الخلف، لكنه تشعث إثر الحادث، ويديها اللتين طوتهما على صدرها، وعينيها الزرقاوين اللتين بدتا أشبه بقطعتين من زجاج لشدة ما ضبطت نفسها لئلا تنفجر بالبكاء. وعلى الرغم من صغر حجمها، وارتعاش أوصالها، بدت شديدة التماسك وقد زمّت ثغرها الأشبه ببرعم وردة بتحدٍ آبية أن تلين.

- أحتاج إلى مزيد من المعلومات.

- لا أفهم ما الداعي لهذه الجلبة كلها.

- تعرض أحد الموظفين للعض من قبل موظفة أخرى...

- ليس موظفاً عادياً...

تعمد لازارو هذه المرة ألا يطرف بعينه؛ فعلى الرغم من أن أحداً لا يجرؤ على مقاطعته إلا أنه تركها تعبر عما يدور في خلدها.

- أظن أن مالفوليو هو زوج أختك.

أومأ لازارو برأسه إيماءة تنم عن اعترافه بصحة كلامها لكنه سارع إلى تجاهله على الفور.

- لا يهمني ما إذا كان مولفوليو زوج أختي أم لا. ما يهمني هو أن أعرف حقيقة ما حصل.

- كما قال لك مولفوليو، كنا نناقش موضوع الترقية... فتعثر ورفع يديه عالياً لينقذ نفسه...

- كاتلين..

كان لازارو من قاطعها هذه المرة، غير أنها تجاهلته كلياً واكتسب صوتها المزيد من القوة والإصرار وهي ترد: «وقمت بعضّه لاإرادياً...».

وارتسمت ابتسامة على ثغرها وهي تتابع: «كانت عضة صغيرة».

- أريد الحقيقة.

- قلت لك الحقيقة.

- أنت تعملين عندي يا كاتلين...

هزت كاتلين رأسها قائلة: «لم أعد أعمل عندك.. قدمت استقالتي للتو..».

- كلا..

ولم يغفل عن الدموع المترقرقة في عينيها الزرقاوين، فلعن مالفوليو في سره لأنه جعلها تبكي.

- لا أريدك أن تخسري وظيفتك من أجل مشكلة بسيطة..

- كنت أنوي الاستقالة من قبل، وأبلغت «مالفوليو» بالأمر. أجريت

الأسبوع الماضي مقابلة لمنصب في قسم العلاقات العامة في سلسلة فنادق مانسيني.

- منصب في قسم العلاقات العامة؟

قطب لازارو جبينه استهجاناً. كان البيرتو مانسيني صديقه ومنافسه في آن معاً فهما يملكان سلسلة من الفنادق العالمية، ويتمتعان بشهرة واسعة في كافة أرجاء المعمورة لاسيما لجهة تدقيقهما في اختيار موظفيهما. لا يجوز مطلقاً أن تتحوّل خادمة مسؤولة عن غرف النوم، مهما كان شكلها لائقاً، إلى موظفة في قسم العلاقات العامة.

- لكنك خادمة مسؤولة عن غرف النوم فكيف تم اختيارك لمنصب في قسم العلاقات العامة؟

- كنت أعمل كخادمة وأتابع دراستي في الوقت نفسه.

- دراستك؟

- في كلية الضيافة والسياحة...

لم يكن لازارو يصغي إلى ما تقوله إذ تجلت له الصورة فجأة وفهم سبب ذلك الإحساس الغريب الذي تملّكه عندما رآها، شعور بأنه يعرفها من قبل. إنها الفتاة التي كانت خلف مكتب الاستقبال. أليس غريباً أن يتذكر ذلك؟ صادف يومها حفل زفاف ابنة دانتون...

- هل كنت تعملين هنا كمتدربة منذ سنتين؟

- هذا صحيح...

وطرفت كاتلين بعينيها مصعوقة. كيف يعقل أن يتذكر تلك الليلة؟ وما الذي تذكره بالضبط؟

- عملت كمتدربة لبضعة أيام فقط. وتقدمت بعدها بطلب للعمل بصورة دائمة، فتم قبولي للعمل كخادمة مسؤولة عن غرف النوم أثناء متابعة دراستي.

مرر يده على جبينه ثم أنزلها إلى خده ليتحسس بأصابعه الندبة البادية عليه. وللمرة الثانية في غضون دقائق قليلة، وجد لازارو تبريراً منطقياً

آخر للسبب الذي جعل وجه هذه المرأة بالذات محفوراً في ذاكرته.

قبل أسبوع من الحادث.

قبل أسبوع فقط، حين كانت الحياة تبدو له أكثر بساطة..

عاشر لازارو آلاف النساء اللواتي لم يعد يذكرهنّ.. أليس غريباً أن يتذكر هذه المرأة بالذات؟

- لمَ لم تتقدمي بطلب للعمل هنا بما أنك تملكين الخبرة اللازمة؟

كان سؤاله منطقياً للغاية، سؤال يطرحه أقاربها وزملاؤها باستمرار لكنها لا تستطيع الإجابة عليه... ولن تجيبه هو خاصة.

كيف يسعها أن تقول له إن صورته لم تفارق خيالها منذ أكثر من سنتين، وإنها وقعت في حبه منذ اللحظة الأولى التي رأته فيها ولم تقوَ على التغلب على هذا الحب على الرغم من مشاغل الحياة، وخروجها مع الأصدقاء واللهو معهم؟

كانت كاتلين بحاجة ماسة إلى أن تعيش حياتها بعيداً عنه.. بعيداً عن لازارو رينالدي والحب الذي تكنّه له..

ربما لو لم يمت أخوه.. ربما لو لم تعمل كخادمة مسؤولة عن غرف النوم.. ربما لو لم يكن على علاقة بروكسان وأخبارهما تتصدر كافة الصحف والمجلات التي تقرأها كاتلين... ولكن بعد ذلك اللقاء الأول، كان عليها أن تمضي قدماً، وتنسى الأحاسيس التي أضرمتها عيناه فيها، وتلك القشعريرة التي سرت في جسمها عندما ظهرت على ذلك الوجه القاسي ابتسامة واهية. في الأيام التي تلت ذلك اللقاء، لاحظت إمارات الألم على تلك القسمات المتجهمة على صفحات الصحف وقد أجفلت من جراء تلك الأقاويل التي أخذ الناس يتناقلونها عن وقوع شجار عنيف بين الشقيقين ووفاة لوكا رينالدي في حادث مفجع ومأساوي. غير أنها استمرت في العمل في الفندق، بدلاً من الانتقال للعمل في مكان آخر. وكانت تحبس أنفاسها كلما وقعت عيناها عليه أثناء مروره لإنهاء بعض الأعمال في الفندق، فتعلو الحمرة خديها وتأمل

في أن يلتفت نحوها وإن قليلاً لكن من دون جدوى. وقد فقد ذلك الوجه المثالي وسامته منذ ذلك اليوم المأساوي وزادت الندبة التي علت خده من قسوة خطوط وجهه وفمه الذي لم يعد يعرف معنى البسمة. كانت تشعر بالعبء الذي يثقل كاهليه، وتتمنى في سرها لو تستطيع أن تزرع البسمة على وجهه من جديد.

تماماً كما في الماضي..

لم يتسنَ لها أن تتحدث إليه منذ تلك الليلة. إلا أن كاتلين شكرت الله على ذلك، لأنه قادر على جعل نيران التوق تستعر في أعماقها، على الرغم من مرور سنتين على لقائهما الأول. فهو لا يزال وسيماً إلى حد لا يقاوم، بغض النظر عن تلك الندبة الغاضبة التي تعلو خده، وقسمات وجهه القاسية الخالية من أي تعبير ومسحة الألم التي ارتسمت في عينيه.

أجابته كاتلين بصراحة مطلقة: «أحتاج إلى قليل من التغيير».

إنها تحتاج إلى اختبار عالم لا ترى فيه اسمه على كل قصاصة ورق.. تحتاج إلى مراجعة حسابها في المصرف من دون أن يكون اسم رينالدي مذكوراً فيه.. تحتاج إلى نسيانه إلى الأبد.

- لن تجدي مكاناً أفضل من هذا.

- لعلك محق.. لكن وقت التغيير حان... لهذا السبب، تراني لا آبه أبداً لما حصل اليوم. كنت أنوي الرحيل على أيّ حال.

- ولكن لا تنسي يا كاتلين أنك عملت في الفندق لأكثر من سنتين.

ضاقت عيناها الواسعتان فتنهد لازارو وأخفض عينيه نحو ملفها من جديد وكأنه يبحث عن المعلومات منه، مع أنه لا يفعل.

- إذا كنت قد تعرضت لأي موقف مسيء، فعليك أن تدركي أنك تتمتعين بكافة الحقوق التي يتمتع بها الموظفون الباقون.. صحيح أن مالفوليو فرد من أفراد عائلتي...

- سمعت أن أختك حامل..

- ما علاقة حملها بموضوعنا؟

كان صوت لازارو هادئاً وقسمات وجهه مسترخية، لكن عليه أن يتوقف عن النقر على طاولة المكتب بأصابعه.

في الواقع، كان عليه أن يذكّر نفسه بضرورة أن يستمر في النظر في عينيها لأنها تعكس أفكاره. كيف ستتعامل أنتونيا مع الأمر؟ لقد بدأت للتو تستعيد أنفاسها بعد صدمة موت أخيها، ومن المفترض أن تضع مولودها بعد أيام قليلة... وهناك ابنتها البكر ماريانا البالغة من العمر أربع سنوات.. ما الذي أصاب مالفوليو بحق السماء؟

- إنه صلب موضوعنا.

وأخذت كاتلين نفساً عميقاً قبل أن تضيف: «اسمع، إنني في أفضل حال.. لا أريد إثارة المتاعب.. دعني أجمع حاجياتي وأرحل فحسب..».

على الرغم من الرغبة الشديدة التي تملكته في أن يضم بين ذراعيه هذه الفتاة السريعة الغاضبة التي دخلت مكتبه بناء على طلبه وهي تهم بمغادرته ضاربة بأوامره عرض الحائط، إلا أنه لم يشك أبداً في أن هذا آخر ما ترغب فيه بعد يوم طويل حافل بالأحداث.. أجل، لعله من الأسهل أن يدعها ترحل لكنه سيرتكب خطأً في غاية الفظاعة إن فعل.

- اسمعي يا كاتلين، دعينا نتحدث في الموضوع. يمكننا معالجة المسألة، ولا داعي لأن ترحلي.

أجابته على الفور: «أظن أنّ علي أن أفعل. كما قلت لك، أجريت مقابلة في فندق مانسيني، ويمكنني أن أتدبر أموري ريثما تنتهي الإجراءات اللازمة. ولكن...

وتلاشى صوتها وراحت تهز برأسها وقد أدركت أنها لا تستطيع أن تشرح له مشكلتها.

- ما الأمر؟

- الأمر معقد.

- لعله ليس معقداً بالنسبة إلي.

رسمت على شفتيها ابتسامة واهية وقد أدركت أنه لم يعد أمامها خيار آخر سوى أن تخبره.

- عملت في الآونة الأخيرة لساعات إضافية.

- سأحرص على أن يدفعوا لك.

- المشكلة هي أنني...

وأخذت نفساً عميقاً ثم تابعت تقول: «تقدمت بطلب للحصول على قرض. ولكنهم طلبوا مني أن أقدم لهم ثلاث بيانات راتب ليتأكدوا من راتبي. .وادعيت أمام المسؤول في المصرف أنه راتبي الشهري».

- من دون الساعات الإضافية؟ ولكن أليس من المفترض أن تدرج على بيان الراتب؟

- تماماً.

- هل هذا يعني أنك كذبت على المصرف؟

- لا يمكن القول إنني كذبت.. فقد أكد لي مالفوليو...

ولم تفتها نظرات الحيرة التي بدت في عينيه وأدركت أنه بدأ يشك في أن العلاقة التي تربطهما لا تقتصر على العمل فحسب مع أن هذا غير صحيح. لكن الأمر في غاية البساطة، إذ طلبت منه تلك الخدمة ولم يرفض.

هزت كاتلين كتفيها بلامبالاة وقالت له: «لا يهم. كنت بحاجة إلى ثلاث بيانات راتب».

- إبقي إذن.

- لا أريد ذلك. وأفضّل ألا أضع اسم مالفوليو كمرجع لي. أعلم أنه المسؤول عن الخدم وأعلم أنه المرجع الأساسي ولكن..

- يمكنك أن تضعي اسمي. أؤكد لك أنني أملك نفوذاً أكبر من مالفوليو في فندق مانسيني وسيكون ذلك مناسباً للغاية.

- كيف ترضى بأن أستخدم اسمك كمرجع مع أنك لا تعرف عني شيئاً؟

- لكني أظن أنني أعرف الكثير.

إنها كلماتها نفسها لكن لازارو هو من نطق بها هذه المرة. حدّق في هذه الشابة القصيرة القامة، ذات الشخصية القوية التي أظهرت قلقاً على أخته الحامل، خلافاً لزوجها ووالد الجنين الذي تحمله.

- سأهتم بكافة الاستمارات وأسوي مسألة راتبك. سأفعل ذلك نهار الاثنين ليتسنى لك أن تعيدي التفكير في الموضوع خلال عطلة نهاية الأسبوع...

- هل يمكنك أن تهتم بالاستمارات الآن؟

لم تنظر إليه بل أشاحت بنظرها بعيداً وراحت تتأمل أفق مدينة ميلبورن عبر نافذة مكتبه الكبيرة.

- لن أعيد النظر في الأمر.

- فكّري قليلاً...

- أود لو تملأ الاستمارات في الحال.

لم تضف عبارة «لو سمحت» هذه المرة فأدرك لازارو أنه لن ينجح في إقناعها بأن تغيّر رأيها.

* * *

- أين مالفوليو؟

اقتحم لازارو مبنى الإدارة وهو في حالة من الغضب الشديد، فسارع الموظفون الذين أملوا في أن يتمكنوا من الخروج باكراً إلى الجلوس في أماكنهم وراحوا ينقرون على أجهزة الكمبيوتر المطفأة أمامهم. كانت الضحكات الرنانة تتعالى من قاعة مجلس الإدارة لكنها تلاشت فجأة. كان جناحه في الطابق العلوي من الفندق، وغالباً ما يستخدم مصعداً خاصاً للوصول إليه متفادياً المرور في الأقسام الخاصة بمكاتب الإدارة.

رمته اودري ميلر، مساعدة مالفوليو الخاصة بنظرة قلقة وقالت: «لقد رحل.. كان على عجلة من أمره لأن أنطونيا اتصلت به وقالت له إنها

مصابة بمغص حاد. . ».

– هل دخلت أنطونيا في مرحلة المخاض؟

– لست واثقة، لكن فريق العمل متحمس جداً كما ترى بنفسك. .

لم يكن من الممكن إنجاز الاستمارات أو حتى تحرير الشيك النهائي.

عليه أن يهتم بالأمر نهار الاثنين.

ولكن أخته في المخاض وزوجها إلى جانبها.

إنه زوج أخته نفسه الذي أرغم كاتلين بيل على الاستقالة لأسباب غير منطقية على الإطلاق.

٢ - عرض مغرٍ

تباً!

كانت كاتلين تزرع أرض غرفة المكتب الواسعة ذهاباً وإياباً لكنها توقفت قليلاً لتمسح أنفها وتخرج من حقيبة يدها علبة البودرة وتذرر وجهها المحمر، باذلة ما في وسعها لتحافظ على رباطة جأشها.

كانت واثقة من أنها ستتمكن من العثور على وظيفة أخرى، لكنها تحتاج إلى ثلاثة بيانات راتب لئلا تصدر المحكمة قراراً ضد والدتها.

لا. . لا يمكن أن يحصل ذلك! فالمحامي الذي يتولى الدفاع عنها في هذه القضية أكد لهما أنه يحكم السيطرة على الأمور.

أطلقت كاتلين أنيناً خافتاً، أنيناً مشوباً بالقلق. . كيف ستتمكن من تسديد فاتورة المحامي المرمية على طاولة الطعام، ليتمكّن من اتمام المعاملات القضائية؟

ماذا ستفعل بحق السماء؟

كذبت على لازارو بشأن المقابلة في فندق مانسيني فطلبها ما زال محفوظاً على جهاز الكومبيوتر ويحتاج إلى الكثير من التعديلات. في الواقع، كذبت على لازارو في كل ما قالته فليس صحيحاً أنها ناقشت مع مالفوليو مسألة الترقية، لكن تصرفاته غير الأخلاقية أخرجتها عن طورها. فقد تطفّل عليها أثناء ارتشافها القهوة في الغرفة المخصصة للاستراحة وحاول أن يتحرّش بها من جديد، مقترحاً عليها أن يخرجا

www.elromancia.com

معاً لتناول العشاء.

وعندما رفضت عرضه كما تفعل في كل مرة، قال لها: «ثمة شيء عالق في شعرك».

واقترب منها، ووقف خلف الكرسي الذي كانت تجلس عليه ثم مد يده ليلمس شعرها فأجفلت كاتلين وكأن سحلية لمستها. أغمضت عينيها بينما كان يبعد شيئاً لا وجود له إلا في مخيلته، وراحت تصلي في سرها أن تنتهي هذه اللحظة المريعة في أسرع ما يمكن، غير أنها استمرت إلى ما لا نهاية، وأحست بالسحلية وهي تتسلل من مكان إلى آخر.

- أرجوك يا كاتلين، كفي عن إغاظتي!

امتدت يداه القذرتان إلى كتفيها، وكانت قادرة على سماع لهاثه المتقطع من خلفها...

- أنا لا أحاول إغاظتك.

أحست كاتلين بدوار، فاللحظة التي لطالما كانت تخشاها وحاولت أن تقنع نفسها بأنها لن تحصل أبداً، أخذتها على حين غرة.

- أنت رجل متزوج يا مالفوليو...

- أنتونيا... ولكنها لا تهتم إلا بنفسها وبطفلها... يمكننا أن نكون معاً..

مكثت كاتلين مكانها مشلولة الحركة، تتأمل أصابعه وهي تتسلل إلى أعلى فستانها وقد فقدت القدرة على التفكير. أحست بنفسها وكأنها أسيرة كابوس مرعب حيث فقدت القدرة على الصراخ. وأدركت أن امتناعها عن صده يوحي بموافقتها ضمنياً.. وبما أنها كانت عاجزة عن الكلام أو عن الصراخ، لم يتبقَ أمامها سوى حل من اثنين: إما أن تعضه وإما أن تتقيأ.

فاختارت كاتلين الحل الأول.

بقي صدى صرخة الغضب التي أطلقها ووابل الشتائم البذيئة الذي أمطرها به يترددان في أذنيها.... فرفعت يديها كطفل صغير وسدت

أذنيها آبية أن تسمع ما قاله لها..

كيف يعقل أن يخطر في باله أنها تحاول أن تغيظه؟ تعمّدت أن تتفاداه، مع أنها كانت تشعر بعينيه المزعجتين تلاحقانها من مكان إلى آخر.. وأغمضت عينيها من شدة بؤسها. فعواقب استقالتها ستطال منزلها أولاً. وكلما تراءت لها صورتها وهي تدخل إلى المنزل وتخبر والدتها بأنها خسرت وظيفتها... صحيح أن راتب خادمة مسؤولة عن الغرف لن يغير العالم، لكنه كافٍ ليعيل والدتها.

فمنذ أن أخذت هيلين بيل على عاتقها مسؤولية تربية طفلتها وحدها، وجدت نفسها مرغمة على تأمين لقمة العيش لابنتها ووالديها على حد سواء. بعد وفاة جدة كاتلين بعد مرور سنتين على ولادتها، كان عليها أن تعتني بوالدها وتهتم بالمشاكل المالية المتراكمة فانتقلت إلى منزل العائلة، وعملت في وظائف عدة لتتمكن من تسديد الرهن والفواتير المتأخرة، ونجحت مع مرور الوقت في إيفاء كافة الديون. وعلى الرغم من العذاب الذي قاسته، عاشت عائلتها حياة هانئة، ووجد والدها سعادة لا توصف في رعاية حفيدته أثناء انشغال هيلين في عملها. ومع مرور السنوات، وتقدمه في السن، تولت كاتلين وهيلين مهمة الاهتمام به ورعايته حتى آخر لحظة من عمره.

لم تظهر شيريل خالة كاتلين في الصورة إلا بعد الجنازة؛ فقد حرص والداها على أن يتركا منزل العائلة لهيلين التي عملت جاهدة للحفاظ عليه وفك رهنه. لكن شيريل طالبت بحصتها في المنزل القائم في منطقة محاذية للشاطئ وعلى مسافة قريبة من المدينة، رافضة الاكتفاء بالمبلغ الذي خصصه والدها لها في وصيته. طالبت بنصف قيمة منزل العائلة ولم تترك وسيلة إلا ولجأت إليها لتحقق غايتها، بتشجيع من روكسان ومحاميها الجشع.

- تباً لروكسان والخالة شيريل... لمَ لا تدعانا نعيش بسلام؟

رن جرس الهاتف فتوقفت كاتلين لبضع ثوانٍ. كانت مشاكلها تشغل

تفكيرها فلم تكترث له في بادئ الأمر.

واصل الهاتف رنينه، ولم يعد بوسع كاتلين أن تتجاهله فرفعت السماعة والسخط بادٍ عليها.

- مكتب لازارو رينالدي، كاتلين بيل تتكلم.

لم تلاحظ أن لازارو دخل إلى المكتب، وسمعت عند الطرف الآخر من الهاتف صوتاً نسائياً يطلب التحدث إليه.

- آسفة ولكن السيد رينالدي ليس في مكتبه حالياً. يمكنك أن تتركي اسمك وسأبلغه بأنك اتصلت فور عودته....

ولمحته بطرف عينها فمدت يدها لتناوله الهاتف، إلا أن حدسها أنبأها بألا تفعل إذ أنّ نبرة المرارة في صوت تلك المرأة أوحت إليها بأن لازارو لا يرغب في التحدث إليها. وبدلاً من أن تناوله السماعة، أخذت قلماً ودونت اسم المرأة على ورقة... لوسي..

رسمت على ثغرها ابتسامة واهية عندما رأته يقطب جبينه استهجاناً ويهز برأسه، في حين راحت لوسي تنفس عن غضبها عبر الهاتف.

قالت لها كاتلين برقة: «لا تقلقي.. سأبلغه بالأمر».

أعادت السماعة إلى مكانها والتفتت إلى رب عملها السابق قائلة: «يا لك من منافق».

- أشكرك لأنك أعفيتني من هذه المهمة.

- لكنها علمت أنك موجود في المكتب ولا تريد التحدث إليها.

- هل قالت أي شيء آخر؟

- لم تقل الكثير...

كانت كاتلين تكذب إذ لا يمكنها أن تقول له إنها صرخت قائلة: «لا يحق له أن يعاملني بهذه الطريقة فقط لأنه بارع في السرير».

لذا، فضلت أن تدخل بعض التعديلات على الكلمات وقالت: «قالت إنّ بإمكانك أن تتصل بها في أي وقت.. في أي وقت.. لذا...».

ولاحظت يديه الفارغتين، فرفعت حاجبيها وسألته: «أين الاستمارات؟».

- في أحد الملفات ولكنني لا أعرف أي منها...

وافتر ثغره عن ابتسامة تنم عن الاعتذار وأضاف: «سأحرر لك شيكاً...».

- لن ينفعني الشيك في هذا الوقت من نهار الجمعة..

لم تشأ البقاء دقيقة واحدة أكثر.... دقيقة واحدة بعد وتنفجر بالبكاء.. دقيقة واحدة وتنهار.. فمظهر الشجاعة الخدّاع الذي تختبئ خلفه بدأ يتصدع مهدداً بالانهيار. وحملت حقيبة يدها وتوجهت نحو الباب قائلة: «يمكنك أن ترسل لي كافة الوثائق عبر البريد نهار الاثنين».

- كاتلين!

علا صوته القوي من ورائها غير أنها أبت أن تلتفت.

- أصغي إلي قليلاً. ماذا لو عرضت عليك أن تكوني مساعدتي الشخصية؟

كانت تلك الكلمات كافية لتسمّرها مكانها، لكنها لم تجعلها تلتفت نحوه. وسألته:

- أنا؟

مدت يدها لتمسك بمقبض الباب لكنها ما لبثت أن أرجعتها إلى الوراء.

- أظنك تدركين مدى حاجتي إلى مساعدة شخصية، لاسيما وأنّ الوكالة لا تبذل أي جهد لاختيار الشخص المناسب. كنت بارعة في التعامل مع لوسي، كما تملكين المؤهلات المناسبة، ويبدو واضحاً أنك..

وأخذ نفساً عميقاً قبل أن يستطرد قائلاً: «.. كتومة».

- لا أستطيع.

خرجت الكلمات من بين شفتيها عفوياً. إنها الوظيفة التي لطالما

www.elromancia.com

حلمت بها... بدا وكأن كل ما تمنته يتحقق.. كما سيتسنى لها أن توفر النقود.. كانت بحاجة ماسة إلى النقود لكنها لا تستطيع أن تقبل عرضه.. لا تستطيع.... وأسفت أشد الأسف على ذلك..

- لا يمكنني رؤية مالفوليو بعد اليوم.

كانت تتكلم بنبرة حادة لكن من دون أن تلتفت إليه. وضعت يدها على الباب من جديد إنما لتستند إليه وليس لتفتحه. فاللحظات المريعة التي عاشتها خلال هذا النهار والمشاعر التي حاولت أن تنكرها وأبت التفكير فيها قبل أن تصبح وحدها، بدأت تتزاحم في ذهنها.

- لا أظن أنّ بإمكاني أن أتحمّل..

خيم الصمت على الغرفة، صمت مشوب بالقلق. إنه الصمت الرهيب الذي يخفي بين ثناياه تنهيدة مخنوقة، وصوت وقع الحقيقة.... إنها اللحظة التي تتأجج فيها المشاعر وعبثاً يحاول المرء إخمادها. لم يكن لديها أدنى شك في أنها ستهز كتفيها بلامبالاة بعد قليل، وتعيد النظر في الأمور بشكل منطقي وتوزع الملامة مناصفة. لم يكن لديها أدنى شك في أن المسألة ستفقد أهميتها، في نظرها، بعد مرور وقت قصير.

ولكن في تلك اللحظة، بدت المسألة مهمة جداً بالنسبة إليها وإلى لازارو على حد سواء.

لاحظ اضطرابها، ورأى تلك المرأة القوية المعتدة بنفسها تفقد شجاعتها لبضع ثوانٍ، فوجد نفسه مرغماً على النهوض من مكانه، والتوجه نحوها ليبعد جسدها المرتعش عن الباب ويديره نحوه ويضمه بين ذراعيه.

- أكرهه...

لم تكن توجّه كلامها إلى لازارو الذي أدرك على الفور من المقصود بهذه العبارة...

- أكرهه..

- أعلم هذا.

- سأكون بخير بعد قليل.

وأخذت نفساً عميقاً محاولة أن تتمالك نفسها من جديد. شعرت بإحراج شديد لأنه رآها تذرف الدموع وحاولت التملص من عناقه لكنه شدها إليه بقوة، فاستسلمت لرغبته وتركته يخفف عنها بينما أخذ الرعب الذي استولى عليها يتلاشى، واستعادت أنفاسها انتظامها وهي تصغي إلى نبضات قلبه.

كان لازارو يدرك أن عناق المرأة يؤدي لا محالة إلى نهاية وحيدة لا مفر منها. ولا شك في أن الفائدة الأساسية التي جناها من تحويل الجناح القائم في الطابق العلوي إلى مكتب له هي أن السرير على بعد مسافة قصيرة جداً. وراح يتأمل شفتيها المنتفختين بسبب العض عليها والدموع الممزوجة بالملح التي ذرفتها فحثه حدسه على التخفيف عنها كما اعتاد أن يخفف عن النساء الأخريات. إلا أن حدساً آخر وأكثر عمقاً وقوة منعه من ذلك.. إنها الفضيلة التي لطالما تجنبها، الفضيلة التي أطلقت من أعماقه صرخة مدوية معلنه له أنها لم تكن بحاجة الآن إلى مواساته بهذه الطريقة.

لكن كاتلين كانت تتوق إلى ذلك..

فمنذ سنين طويلة وهي تحلم بأن يضمها بين ذراعيه. وعندما تحقق حلمها أخيراً، أدركت كاتلين أن الواقع يفوق الخيال روعة وجمالاً فقد أثار فيها قربه إحساساً لا يوصف بالفرح وشعرت وهي بين ذراعيه القويتين بالأمان. وتمنت بشدة لو يعانقها كامرأة لتزيل يداه البقع القذرة التي خلّفها مالفوليو.

لكنه لم يفعل واكتفى بضمها إلى صدره لبعض الوقت ريثما يتسنى لها أن تستوعب ما جرى وتعيد تنظيم الأمور في رأسها. وعندما قرر أخيراً أن يطلق سراحها بعد أن استعادت قدرتها على الوقوف بمفردها، بدا لها العالم أجمل مما كان عليه لدقائق قليلة خلت..

www.elromancia.com

– مالفوليو مسؤول عن الخدم الذين يهتمون بالغرف ونادراً ما يتواجد في المكتب كما أنني نادراً ما أكون هنا. تتطلب هذه الوظيفة السفر بشكل مستمر..

كان صوته خافتاً ونظراته مباشرة وهو يؤكد لها أنه ما زال مصمماً على موقفه.

احتجت كاتلين قائلة: «لا يهم.. لا مفر من لقائه بين الحين والآخر...».

وهزت رأسها من جديد مع أنها لم تعد واثقة هذه المرة من قرارها..

وجاء رده ليؤكد ما يجول في رأسها: «لن يشكل مصدر إزعاج لك. سأتحدث إليه وأحرص على ألا يزعجك ثانية. لا داعي لأن تقدمي استقالتك».

– لا أملك الخبرة المطلوبة..

كان لازارو يعرض عليها وظيفة أحلامها، وسبيلاً سريعاً لتحقيق ما يتطلب سنوات طويلة من الخبرة، لكنها مرغمة على أن تعلمه أنها غير مؤهلة لاستلام منصب بهذه الأهمية، مع أنه تصرف غاية في التهور.

– لا أظنك اكتسبت عادات سيئة..

كانت هذه المرة الأولى التي تراه فيها يبتسم وأومأ لها بيده مضيفاً: «اجلسي».

أصغت إليه باهتمام وهو يشرح لها دورها الجديد، وطرفت بعينيها وهو يصف الرحلات الدولية والفنادق الفخمة التي ستضفي نكهة جديدة على حياتها، لقاء راتب فاق توقعاتها. لكنه أكد لها بصراحة أنها ستجد نفسها مرغمة على أن تكيّف حياتها لتتوافق مع نمط حياته..

– وقتي ثمين جداً.

أومأت كاتلين برأسها فتابع كلامه: «لنأخذ على سبيل المثال ما حصل اليوم. لا يفترض بي أن أقصد مكتب الإدارة لجلب الاستمارات

ولن تتمكني من القيام بذلك أيضاً. لذا، سأؤمن لك مساعدة أيضاً. كانت مساعدتي الشخصية السابقة تحتفظ بلائحة بأسماء الأشخاص الذين يمكن تحويل اتصالاتهم إلي من دون سؤال، والأشخاص الذين ينبغي التحقق من غايتهم أولاً فضلاً عن الأشخاص أمثال لوسي الذين يفترض بك التعامل معهم. قد يكون عملك متعباً جداً في بعض الأحيان ومملاً في أحيان أخرى، كما أن التوتر والجهد قد يبلغان أقصى حدٍ في ظروف معينة. عليك أن تراجعي جدول مواعيدي صباح كل يوم، علماً أننا سنضع جدولاً أسبوعياً في بداية كل أسبوع. علينا، على سبيل المثال، أن نسافر إلى روما في غضون أسبوعين.

– أنا لا أتكلم الايطالية.

– من حسن حظك أن معظم الموظفين في روما يجيدون الانكليزية. لكن إذا قررت البقاء في هذه الوظيفة فعليك أن تعيدي النظر في هذه المسألة.

إذا قررت البقاء! هل هي مخبولة لتتخلى عن هذه الوظيفة المدهشة؟

لا بد أن لازارو لاحظ نظراتها الحادة إذ سارع إلى القول: «لم يسبق لي أن استخدمت مساعدة شخصية لأكثر من سنة ما يعني أن عقدك سيكون صالحاً لسنة واحدة فقط. ومع اقتراب صلاحية العقد من الانتهاء، يمكننا أن نناقش مستقبلك. عليك أن تدركي أن هذا الدور يتطلب الكثير من الجهد لأنني رب عمل متطلب إلى حد يفوق التصور، فالمعايير التي ألتزم بها عالية، وكمية الأعمال هائلة جداً».

– ألهذا السبب تركت جيني العمل؟

قرأت كاتلين في مكان ما أنه من الضروري جداً معرفة الأسباب الكامنة وراء شغور أي وظيفة. وعلى الرغم من أن لازارو لم يبخل عليها بالجواب إلا أنها تمنت في سرها لو لم تطرح هذا السؤال.

– لم أكن مستعداً أبداً لتلبية بعض الطلبات التي أصرت جيني عليها.

أتراه يقصد الارتباط بامرأة واحدة فقط؟ شعرت كاتلين برغبة شديدة

في التعبير عن رأيها بصراحة إلا أنها امتنعت عن ذلك.

وأردف لازارو: «ستجدين نفسك، في مرحلة معينة، مرغمة على التخلي عن حياتك الخاصة لكن العمل معي سيفتح أمامك أبواباً عديدة».

- لا أفهم لما اخترتني أنا بالذات لهذه الوظيفة التي تتطلب كفاءة عالية..

وأحست كاتلين فجأة بجفاف في حلقها. كانت تعي تماماً أنها تجلس أمامه مرتدية الثوب المخصص للخادمات وتخضع للاستجواب من أجل وظيفة محترمة..

- لا أخفي فرحتي بهذه الفرصة التي لا تعوض لكنني لا أفهم لما اخترتني أنا لهذا المنصب. إذا كنت تحاول التعويض عما حصل مع مالفوليو...

- بعد عدد لا يحصى من المقابلات الفاشلة، خسرت بعد ظهر اليوم ساعة من وقتي وأنا أحاول أن أشرح لإحدى وكالات التوظيف ما أحتاج إليه بالضبط، محاولاً أن أحدد ما أبحث عنه في مساعدتي الشخصية. عليّ أن استعرض الأسبوع المقبل مجموعة من المرشحات الملائمات لهذا المنصب، بحسب وجهة نظرهم. لا أحتاج إلى فتاة تتكلم اللغة الايطالية بطلاقة... ولا أحتاج إلى فتاة تدّعي أنها تتمتع بقدرة عالية على التعامل مع الآخرين في حين أنها لا تجيد تقدير المواقف. أحتاج إلى فتاة تدوّن اسم المتصل الذي يخيل إليها أنه قد يثير المتاعب، من دون أن يملي عليها أحد ذلك.

ضاقت عيناه وهو يتأملها مستغرقاً في أفكاره...

- أظن أن المرء يشعر أحياناً أنه عثر على الشخص الذي يبحث عنه.

أجابته بصوت أجش: «أنت محق».

اكتسحت موجة من الاحمرار خديها، وراحت تعض على شفتها العليا متمنية في سرها لو أنها سمعت منه هذا الكلام في ظروف مختلفة.

وتابع لازارو كلامه قائلاً: «أحتاج إلى شخص يتحلّى بالشجاعة اللازمة ليكون صادقاً».

أجابته كاتلين غاضبة: «أنا فتاة صادقة..».

- لم تكوني صادقة مع المصرف... اسمعي، لا أطلب منك أن تشغلي هذه الوظيفة مدى العمر فأنا أدرك تماماً أن هذا المنصب متعب للغاية ويتطلب الكثير من الجهد ولا أتوقع بالتالي من الشخص الذي يشغله أن يبقى فيه طويلاً. لكن معظم الأشخاص الذين أجريت معهم مقابلات أثبتوا أنهم على استعداد للعمل بجهد لبضعة أشهر فقط ريثما تُفتح أبواب جديدة أمامهم. أحتاج إلى شخص مستعد للعمل بجهد فحسب. وعندما تفكرين في الاستقالة، لأنك ستفعلين لا محالة، عليك أن تخبريني مسبقاً.

- حسناً..

أومأت كاتلين برأسها مع أنها لم تكن مقتنعة تماماً، أو بالأحرى لم تكن مقتنعة أبداً بأنها قد تفكر يوماً في الاستقالة. ولكن لعلها الطريقة الأمثل للتغلب على حبها له. إذا تسنى لها أن تختبر بنفسها طباعه فقد تنطفئ تلك الشعلة السخيفة التي تحملها بين أضلعها.

- هل أنت مرتبطة؟؟

- عفواً؟

عكس رد فعل كاتلين ذهولها... وعادت تسأل: «وما علاقة هذا بالموضوع؟».

- إنه وثيق الصلة بالموضوع إذ ينبغي أن يكون رجلاً صبوراً وقادراً على تحمل غيابك عنه، لأنني سأحتل المرتبة الأولى في حياتك بدءاً من نهار الاثنين.

- حسناً، لست مرتبطة.. انفصلنا منذ فترة وجيزة.

ابتسم لازارو وقال: «عظيم... كم من الوقت استمرت علاقتكما؟».

- لماذا؟ أتخشى أن أقضي الوقت في البكاء بدلاً من التركيز على العمل؟؟

هز لازارو قائلاً: «إنه مجرد سؤال فضولي. لا تنسي أننا سنعمل معاً، ومن الأفضل أن أطّلع على بعض أسرارك».

مستحيل! كبحت كاتلين نفسها لئلا تنطق بهذه الكلمة! لم تستطع أن تتصور نفسها وهي تلتهم لوحاً من الشوكولا فيما لازارو يجلس بقربها يمسح دموعها ويصغي إليها وهي تخبره عن أسباب انفصالها عن دومينيك. . . . انفصلت عن دومينيك لأن. . لأن. . . أغمضت كاتلين عينيها وانكمشت على ذاتها. انفصلت عنه لأنها حافظت على عذريتها حتى الساعة.

- أرجواني!

وابتسمت عندما رأت لازارو يقطب وقد بدا عليه الارتباك.

- أنتعل حذاءً رياضياً أرجواني اللون. وقبل أن تطرح المزيد من الأسئلة، استمرت علاقتنا ستة أشهر. طلب إنهاء العلاقة في الوقت الذي كنت أنوي فيه الانفصال عنه. هل أشبعت هذه المعلومات فضولك؟

- في الوقت الحالي. . .

رماها بابتسامة كسولة وراح يحدق فيها متفرساً لوقت طويل من دون أن يتفوه بكلمة. وانتظرت كاتلين أن يعلن رأيه بصراحة والقلق يتآكلها. .

- أنت. . .

وتريّث لبعض الوقت قبل أن يعلن حكمه: «مختلفة. .».

- هذا صحيح. .

- يا له من أمر مثير للاهتمام. . . .

- أحب العمل الشاق. .

ابتسم لها لازارو ابتسامة عريضة فكادت كاتلين تقع عن كرسيها من تأثير سحر النظرات التي رماها بها. .

- حسناً، إنني أتحرق شوقاً للعمل معك. . انتهت المقابلة. .

- ليس بعد. .

لاحظت نظرات الاستغراب التي بدت في عينيه فأخذت نفساً عميقاً قبل أن تضيف: «عند انتهاء المقابلة، يُسأل الشخص الذي خضع للمقابلة عما إذا كان يرغب في طرح أي سؤال أو في إضافة أي شيء آخر».

- وهل ترغبين في ذلك. ؟؟

- أجل. .

ترددت كاتلين قليلاً. . لا فائدة من قبول هذه الوظيفة إذا لم تضع النقاط على الحروف منذ البداية. . . كانت كاتلين تعلم أن لازارو رب عمل صعب المراس ومتطلب للغاية، ولا يتوانى عن التعبير بصراحة عما يدور في رأسه. يمكنها أن تتقبل هذا الأمر شرط أن يتقبّلها لازارو أيضاً. .

- أقدر تماماً ميلك الواضح إلى التعبير بصراحة عما يجول في خلدك لكن المشكلة تكمن في أنني أتحلى بالميزة نفسها. .

قاطعها لازارو: «لاحظت هذا، لكنني لا أحبذ أبداً التصادم مع مساعدتي الشخصية».

ابتسمت كاتلين وأجابته: «لن يحصل أيّ صدام بيننا فأنا أكثر مهنية مما تظن. . لكن قبل أن أعطيك موافقتي الرسمية على عرضك، عليك أن تعلم أنني أملك لساناً وسأستعمله كلما وجّه إلي أحدهم كلاماً يخلو من اللياقة».

وعلى الرغم من أن عضلات وجهه بقيت جامدة، إلا أنّ طيف ابتسامة ظهر على ثغر لازارو. كان الإصغاء إلى كلام كاتلين أشبه بتجربة فريدة من نوعها، تجربة منعشة كما لو أنه هو من يخضع للمقابلة من أجل الوظيفة.

- أيفترض بي أن أنتبه لما أقوله؟

– كلا... لكن لا تتوقع مني أن أختبئ خلف أحد أحواض النباتات حتى تهدأ عاصفة غضبك.

– لا أملك أحواضاً للنباتات..

حدق فيها وهو مستغرق في التفكير لبضع ثوانٍ، ثوانٍ بدت لكاتلين أشبه بدهر. وتساءلت في سرها عما أذا أخفقت وأضاعت من بين يديها فرصتها الذهبية لكنه ما لبث أن رماها بابتسامة ساحرة قبل أن يقول: «أراك نهار الاثنين عند الساعة السابعة والنصف. تحتاجين إلى مجموعة من الملابس المناسبة..».

قاطعته كاتلين لتقول: «لست معتادة على الخروج بهذه الملابس».

هز لازارو كتفيه بلامبالاة وأجاب: «كما تشائين. لكنني أتوقع منك أن تختاري ملابس تتماشى مع الموضة».

– لك ما تريد.

– أريدها عصرية...

ورنّ جرس الهاتف فجأة فأجفل لازارو وتوقف عن الكلام...

– اسمح لي..

ابتسمت كاتلين ابتسامة عريضة ورفعت السماعة فطالعها عند الطرف الآخر صوت أنثوي رخيم يسألها عن رب عملها الجديد..

– بونيتا..

لفظت كاتلين الاسم متوقعة منه أن يهز رأسه، ولم تتمكن من إخفاء استيائها عندما لم يفعل.

مد يده ليتناول منها السماعة، وبدا صوته غاية في الرقة والود وهو يرحب بالمتصلة طالباً منها الانتظار قليلاً.

– أنت تمثليتي..

بدا مشتت الفكر وكأنه يريد إنهاء هذا الاجتماع ليتسنى له أن يتفرغ للمتصلة.

– وفنادقي هي الأفضل في العالم.. لا أظن أن الملابس المبتذلة

والحقائب الرخيصة تفي بالغرض...

لاحظ احمرار خديها وارتباكها فسارع إلى فتح درج مكتبه ليعطيها لائحة بأسماء المتاجر التي يملك فيها حساباً خاصاً به..

– هذه ليست خدمة... هذا جزء من الدور الذي ستلعبينه إذا أردت هذه الوظيفة..

– شك...

منعت نفسها من أن تشكره وتابعت تقول: «طبعاً».

لكنه لم يكن يصغي إليها. بدا مشغولاً بأمور أخرى وهو يلوح لها بيده؛ وقبل أن تقفل الباب وراءها، سمعته يتحدث على الهاتف.

على الرغم من أن لازارو راح يصغي إلى ما تقوله بونيتا، إلا أن صورة كاتلين بقيت عالقة في ذهنه.

عندما تأملها وهي تغادر المكتب، أدرك لازارو أنه أحسن الاختيار فهي ذكية، ومؤهلة وتتحلى بالشجاعة اللازمة لمواجهته.. كما أنها فاتنة إلى حد لا يقاوم... وافتر ثغره عن ابتسامة.. لم يكن لديه أي مانع في المزج بين المتعة والعمل...

www.elromancia.com

٣ - رحلة نحو المجهول

يختار الحظ دوماً أن يدق بابك على غفلة منك.

لم تتوقّع كاتلين أن يفاجئها القدر بهذه الفرصة التي لا تعوض كما أنها لا تملك الوقت الكافي للاستعداد في نهاية هذا الأسبوع فهي مدعوة في الغد إلى حفل زفاف، وعليها أن تقصد مصفف الشعر وتشارك في الحفلة الصاخبة التي ستلي الزفاف.. ولم يتسنَ لها أيضاً أن تشتري الهدية.

يمكنها أن تستغل الساعات المتبقية من هذا النهار لتشري مجموعة من الملابس الرسمية التي تليق بمنصبها الجديد في ميلبورن وتتناسب أيضاً مع رحلتها القصيرة إلى روما.

خرجت كاتلين من الفندق وراحت تتجول في شوارع المدينة المزدحمة وأفكارها مشوشة. لم تكن الوظيفة التي عرضها عليها لازارو هي السبب فحسب.. كان يفترض بها أن تطير من شدة الفرح، غير أنها أحست بثقل في رجليها وكأنها تسير وسط بحيرة من الوحل. استندت إلى الحائط لثوانٍ وراحت تحدق في الموظفين الخارجين من مكاتبهم والفرحة بحلول عطلة نهاية الأسبوع بادية على وجوههم، لكن من دون أن تراهم. وعلى الرغم من أنها لم تشأ التفكير في الأمر في هذه اللحظة بالذات.. وعلى الرغم من أن لديها أموراً كثيرة تشغل بالها، إلا أنها لم تتمكن من طرد صورة مالفوليو من ذهنها.

أحست بالغثيان وهي تستعيد في ذهنها ما حصل فرأت من جديد إمارات الحقد التي ظهرت في عينيه عندما عضته، وتردد في أذنيها صدى الكلمات المريعة التي تفوه بها وهو يغادر المكان.

- أنت عاهرة رخيصة يا كاتلين.. تماماً مثل روكسان..

روكسان.. أغمضت كاتلين عينيها آملة أن تستعيد نبضات قلبها انتظامها. فالاسم الذي رماه في وجهها يدل على أنه يعرف من تكون، وهي لم تكن مستعدة على الإطلاق لمواجهة مفاجأة بهذا الحجم.

دخلت كاتلين أحد المخازن الكبرى في المدينة واستخدمت المصعد للتوجه إلى الطابق الرابع. وقفت أمام السلع مذعورة وقد أدركت أن البذلات النسائية ذات الأسعار الزهيدة لن تعجب لازارو أبداً.

لم يكن يسدي لها خدمة.

هذا ما انفكّت تذكّر نفسها به وهي تتوجّه إلى الطابق السادس حيث المتاجر المترفة لتدلل نفسها بارتداء الملابس الراقية ذات الأسعار الخيالية. وسرعان ما لانت قسمات البائعة المتعالية عندما عرّفتها كاتلين عن نفسها..

- أنت مساعدة لازارو رينالدي الجديدة.. هل هذا يعني أن جيما رحلت؟؟

- جينا..

- هذا صحيح! اعتادت جينا أن تشتري ملابسها من متجرنا وأعرف جيداً ما يتلاءم مع الدور الجديد الذي ستلعبينه.

- حقاً؟

- أعرف جيداً أن رب عملك يفرض معايير صارمة على موظفيه.. لا تقلقي، يمكنني مساعدتك.

وقفت كاتلين في غرفة تبديل الملابس تحدق في صورتها المنعكسة في المرآة. في بادئ الأمر، لم ترق البذلة النسائية السوداء التي اختارتها للبائعة وسارعت إلى استبدالها بأخرى رمادية اللون تبرز مفاتن جسدها،

وواحدة من الكتان، وثالثة زيتية رائعة إنما قصيرة جداً. بعدئذ، وقع اختيارها على بذلة من اللون البني الداكن، تتناسب تماماً، حسب ما قالت البائعة، مع لون بشرتها وتبرز زرقة عينيها. لم يعد ينقصها سوى أن تصفف شعرها، وتختار أحذية مناسبة وتضع القليل من الزينة لتبدو في أبهى حلة. وقفت كاتلين على رؤوس أصابعها وقررت في سرها أنها قادرة على لعب دور مساعدة لازارو رينالدي الشخصية بامتياز. . . . لكن الأهم هو أنها ستتمكن من مساندة أمها ومن تسديد أتعاب المحامي. وإذا لم يكن الحكم في مصلحتهما، فيمكنها أن تدفع لخالتها شيريل وروكسان مبلغاً يوازي حصتهما.

روكسان. . .

جلست كاتلين على المقعد في غرفة تبديل الملابس ودفنت رأسها بين يديها محاولة أن تلتقط أنفاسها. فالإحساس بالضيق الذي بات مألوفاً في الآونة الأخيرة، كان أكثر حدة هذه المرة وكان شيريل وروكسان تضغطان بأيديهما على عنقها لتخنقاها. . بقي صدى ذلك الحديث المقيت يتردد في ذهنها وكأنه دار بينهما مساء البارحة وليس منذ سنتين.

ففي أحد أيام الآحاد، قصدت منزل روكسان برفقة والدتها ليتسنى لهيلين أن تقنع شيريل بزيارتهم بين الحين والآخر. وقررت كاتلين وروكسان أن تدعهما على انفراد، فصعدتا إلى الطابق العلوي في محاولة منهما للاستمتاع بوقتيهما؛ فمنذ صغرهما وهما تدّعيان بأنهما صديقتان حميمتان مع أنهما ليستا كذلك.

- ما هذا؟

لمعت عينا روكسان عندما وقعت حقيبة يد كاتلين عن السرير وتناثرت محتوياتها على الأرض، بما في ذلك صورة للازارو مزقتها من إحدى المجلات.

- أنت معجبة به، أليس كذلك؟

- كلا.

انتزعت كاتلين الصورة من بين يديها وقد غزت موجة من الاحمرار وجهها.

- عليك رؤيته أثناء توليه إدارة الأعمال في الفندق. . إنه مدهش. .

ابتسمت روكسان ابتسامة عريضة وأجابتها: «لا بد من الاعتراف بأنه مثير جداً. .».

- أوصلني البارحة إلى المنزل. .

لم تقوَ كاتلين على منع نفسها من التباهي أمام ابنة خالتها لكنها لم تكن واثقة من السبب الذي دفعها إلى ذلك. . .

- أنت؟ هل أصبح الآن مسؤولاً عن نقل الموظفين إلى منازلهم؟ لا بد أنه يمر بأوقات عصيبة. . .

وأخفضت عينيها إلى أصابع رجليها المطلية حديثاً وأضافت: «سمعت من آل رينالدي. . ظننت أنّ علاقتي بلوكا ستتوج بالزواج لكن تبين لي أنه إنسان فاشل. . .».

فأجابت كاتلين: «إذا كان يشبه أخاها ولو قليلاً، فلا بد أنه رجل مذهل».

- إنه مفلس. . . لوكا رينالدي رجل سكير ومفلس. .

- مفلس؟؟

قطبت كاتلين جبينها. لا يمكن استخدام كلمتي «مفلس» ورينالدي» في الجملة نفسها. . وانفجرت روكسان ضاحكة وفتحت خزانة ملابسها وراحت تُخرج منها أثوابها الواحد تلو الآخر. بعدئذ، أخرجت علبة خشبية وافتر ثغرها عن ابتسامة خبيثة عندما رأت تعابير الذهول التي ارتسمت على وجه كاتلين عند رؤيتها مجموعة المجوهرات الماسية. .

- هل اشترى لك هذه الأشياء كلها؟ لكنك قلت منذ قليل إنه مفلس. .

- أتتصورين أنه قد يخطر في بال أي بائع أن يتحقق من رصيده؟ هذا

www.elromancia.com

الرجل يعتمد على شهرته لكن ليس لوقت طويل..

وأضافت بنبرة غامضة: «علمت أن لازارو يسارع إلى تغطية كافة شيكاته المرتجعة».

- كيف تقبلين منه هذه الهدايا كلها والرجل..

- هذه الأثواب التافهة والمجوهرات ليست سوى نقطة في بحر المشاكل التي يواجهها. كنت أنوي قطع علاقتي به اليوم بالذات لكنه وعدني بأن يصطحبني نهار الاثنين لشراء سيارة..

وراحت تعبث بكومة الكتيبات الموضوعة أمامها..

- أظن أنني سأختار اللون الأحمر..

- روكسان...

- عيشي حياتك... هذا ما أنوي أن أفعله بعد أن أتخلص من لوكا..

* * *

- ما الذي يجري؟

قطب لازراو جبينه عند سماعه صوت أخته عند الطرف الآخر من الهاتف...

- لا شيء، لماذا؟؟

- ظننت أنك تعانين من آلام المخاض..

تنهدت أنتونيا وأجابت: «ليس بعد... يبدو أن هذا الطفل لا ينوي الخروج أبداً... ما الذي تفعله؟».

- إنني في السيارة.. هل مالفوليو في المنزل؟

- إنه في الحديقة.. سأناديه...

قاطع لازارو أخته قائلاً: «لا داعي لذلك.. سأمر لزيارتكم.. إنني على مقربة من المنزل».

- حسناً. أريدك أن تبقى على العشاء.. يمكنني..

كانت انتونيا تتحدث بحماسة لا توصف، لكن سرعان ما توقفت على الكلام وقد أدركت أنه أقفل الخط في وجهها. لم تأبه كثيراً للأمر لأن لازارو معروف بقلة كلامه.

وضعت أنتونيا كتابها جانباً وحاولت أن تنهض من مكانها، وافتر ثغرها عن ابتسامة عريضة عندما فتحت مدبرة المنزل الباب الأمامي ليدخل منه أخوها...

- كنت أسألك عما إذا كنت ترغب في البقاء للعشاء قبل أن تقفل الخط في وجهي..

هز لازارو رأسه بالنفي... لكن أنتونيا ألحت: «ابقَ من أجلي».

ولكنه عاد وهز رأسه من جديد.

- زيو!

أطلقت ماريانا صرخة فرح وهي تندفع نحوه بثوبها الزهري اللون فيما خصلات شعرها الداكنة تتمايل على كتفيها.. كان لازارو معتاداً على حملها بين ذراعيها، وتقبيل وجهها الطفولي الممتلئ، إلا أنه عاجز عن ذلك هذا اليوم بالذات. وراحت عيناه تتنقلان بين أخته وابنتها رافضاً أن يوقظهما من الوهم الذي يعيشان فيه.

داعب لازارو خصلات شعر ماريانا محاولاً غض الطرف عن خيبة الأمل التي بدت في عيني الطفلة أمام هذا الترحيب البارد...

- تسرني رؤيتك يا ماريانا..

والتفت نحو أخته مضيفاً: «أريد التحدث إلى مولفاليو بشأن العمل...».

وأشاح بنظره بعيداً لئلا تتمكّن من قراءة ما تخفيه عينيه.

لكن أنتونيا لم تكن غبية فنادت مدبرة المنزل وطلبت منها أن ترافق ماريانا لتلعب في غرفتها...

- هل كل شيء على ما يرام يا لازارو؟

لم تشاهد لازارو في هذه الحالة السيئة منذ فترة طويلة جداً.

www.elromancia.com

- تبدو...

أجابها لازارو على الفور مرغماً نفسه على الابتسام: «أنا مرهق.. كان أسبوعاً حافلاً.. أظنك علمت أن جينا تركت العمل..».

- مسكين أنت.. أرجو أن تجد بديلة عنها في أقرب فرصة ممكنة.

- وجدت الشخص المناسب...

- بهذه السرعة؟ لكنك عادة تأخذ وقتاً طويلاً قبل أن تعثر على مساعدة تعجبك..

- ليس هذه المرة.

قالت له انتونيا بنبرة مفعمة بالرجاء: «ابقَ على العشاء... ستفرح ماريانا بوجودك.. وأنا أيضاً. قد يساعدني هذا على عدم التفكير في أمر الجنين لبعض الوقت».

ومسدت بطنها المنتفخ بيدها مضيفة: «كلما اقترب الموعد، زاد توتري أكثر فأكثر...».

- ستكونين بخير... ستكونان أنت وجنينك بخير...

وابتسم لها ابتسامة عريضة مضيفاً: «ما الذي تقرأينه؟».

- كتاب يتضمن أسماء أطفال.. أعجبني أكثر من ثلاثين اسم فتاة، لكن إن كان صبياً..

وتوقّفت قليلاً عن الكلام وراحت تتأمل قسمات وجه لازارو التي تشنّجت فجأة قبل أن تردف: «أريد أن أسميه لوكا..».

- فكرة جيدة... هذا ما ينبغي أن يحصل.. إنه قرار صائب..

- هل أنت واثق؟ أقصد...

لم تكمل كلامها وتوقّعت من لازارو أن يملأ الفراغ إلا أنه لم يفعل... واكتفى بالتربيت على جبينه لبعض الوقت..

- كلّمني يا لازارو..

- ليس لدي ما أقوله.. فأنا...

لم يكن يقوى على التفكير في الأمر... فكيف سيتمكن من التفوه

به؟ حاولت أنتونيا مساعدته..

- أتظن أنك لن تتمكن أبداً من النطق بهذا الاسم من دون أن تتذكر..

- ستبقى الذكرى محفورة في رأسي...

فهو لم ينسَ أبداً كما أنّ صورة أخيه لا تغيب عن باله لحظة واحدة...

- من دون أن تشعر بالألم إذن؟

لكن أنتونيا لا تدرك الحقيقة فالألم الذي ملأ قلبه يأبى أن يبارحه...

وأخيراً، قال لها لازارو: «من دون أن أشعر بالندم.. لا أظن أنني سأتمكن يوماً من التفكير في لوكا من دون أن أشعر بالندم».

- أرجوك.. لا تقل هذا الكلام...

واغرورقت عينا أنتونيا بدموع الحزن، ليس على الأخ على فقدته بل على العذاب الذي يقاسيه الأخ الذي بقي على قيد الحياة.. عذاب لم ينسَ له أبداً أن يتحدث عنه.. وعندما أغمض عينيه وراح يهز برأسه، أدركت أنتونيا أن لازارو ليس مستعداً بعد للتحدث في الموضوع. إلا أن هذا لم يمنعها من المحاولة من جديد.

- لو بقي لوكا على قيد الحياة يا لازارو لفهم ما الذي دفعك إلى قول ما قلته له. كان على أحد منا أن يتكلم ليعيده إلى صوابه...

- أعلم هذا..

وتابعت أنتونيا كلامها قائلة: «أنا واثقة من أنه سامحك».

وتوجهت نحوه مضيفة بصوت خنقته الدموع: «وأريدك أن تعلم أنني سامحتك أيضاً.. منذ زمن بعيد جداً».

ورفعت يدها لتلمس الندبة على خده غير أنه لم يدعها تفعل وسارع إلى إبعاد يدها... لم يكن بحاجة لأن تصفح أخته عنه..

- عليك أن تطوي صفحة الماضي يا لازارو...

www.elromancia.com

- لقد طويتها . . .

- هذا غير صحيح يا لازارو . . فنحن لا نراك إلا لماماً . . . كما أنك تتفادى رؤية والدتنا منذ وقوع الحادث . .

وارتفعت نبرة صوتها وكأنها توقّعت منه أن يقاطعها : «علينا أن نتحدث في الموضوع . من الواضح أن ما حصل يقض مضجعك» .

- لا جدوى من نبش الماضي .

- لم يتسنَ لنا أن نفتح الموضوع من قبل . .

وشعرت انتونيا بغصة في حلقها وقد بدا الإرهاق عليها مع كل حركة . . . إرهاق ليس نتيجة حملها وحسب بل نتيجة الضغط النفسي الذي عانت منه خلال السنتين الماضيتين أيضاً . .

- لم نناقش الموضوع منذ ذلك اليوم في المستشفى . . وعلينا أن نفعل يا لازارو . . . وفي حضور والدتنا أيضاً . . علينا أن نتكلم . . أريد سماع . .

- لا يا أنتونيا . . .

كانت نبرته غاية في القسوة ولاحظ إجفالها من فظاظته فكره نفسه أشد الكره . إلا أنه عاد وذكّر نفسه بالحقيقة المرة : من الأفضل ألا تعرف أنتونيا أبداً حقيقة ما حصل ذلك النهار . . .

غير أن صوته اتسم بشيء من الرقة حين أضاف : «وهل سيعيده الكلام إلينا؟» .

- كلا .

- هل سيغير الكلام حقيقة ما حصل ذلك اليوم؟ ويغير ما رآه لوكا؟

راح يتأملها وهي تهز رأسها بأسف . .

- ما فائدة الكلام إذن؟

- أرجوك يا لازارو . .

لم يكن لازارو على استعداد للإذعان لتوسلاتها فأدركت انتونيا أنه لم يعد أمامها سوى أن تنسى الأمر . . .

- أين مالفوليو؟

- إنه في الحديقة .

كان صوت انتونيا خافتاً مهزوماً وهي تحاول أن تتمالك نفسها . .

- سأخبره بقدومك .

- سأذهب للتحدث إليه في الحديقة . ارتاحي أنت .

انتظر لازارو قليلاً ريثما تمكّنت أخته من الجلوس على الأريكة، وحاول أن يحافظ على رباطة جأشه لئلا تشعر بالمرارة التي تمزق أحشاءه، وبنيران الغضب التي تستعر في داخله مهددة بالانفجار . . كان عليه أن يتكلم ويتصرف بطريقة طبيعية للغاية وكأنه مر فقط لإلقاء التحية على أفراد عائلته .

بعد أسبوعين، ستضع أنتونيا مولودها الثاني . . . ماذا فعل ذلك السافل بأخته وابنتها والطفل الذي لم ير النور بعد؟

عند خروجه إلى الحديقة، خطر في باله سؤال آخر . . ماذا فعل ذلك السافل بكاتلين؟

كان لازارو يتحلى بالقدرة على المشاركة في كافة الاجتماعات أو اللقاءات واستلام دفة الكلام بعفوية مطلقة وذكاء حاد ومن دون أي تحضير مسبق . . لكنه تمنى في هذه اللحظة لو أنه استعد أكثر لمواجهة هذا الموقف . .

رأى صديقه، وزوج أخته، وزميله في العمل، يقف متكئاً على الجدار الحجري حاملاً في يده التي لفّها بضمادة كأساً من العصير . ووجد لازارو نفسه عاجزاً عن الكلام لبضع ثوانٍ .

كم تمنى أن تكون كاتلين مخطئة . . . أو حتى كاذبة لكنه واثق كل الثقة من أنها ليست كذلك .

- ما الذي قالته؟

بدا وجه مالفوليو شاحباً من حدة التوتر . .

- ما الذي قالته تلك الساقطة؟

www.elromancia.com

لم يتمكن من إنهاء جملته إذ جذبه لازارو من سترته وضربه بعنف على الحائط..

- اصمت...

كان لازارو يتكلم بغضب شديد ووجهه على مسافة قريبة جداً من وجه مالفوليو.

- أنت تثير اشمئزازي..

- هل صدّقت كلامها؟؟

رماه مالفوليو بابتسامة ساخرة لا تخلو من التوتر..

- صدّقت كلام تلك الفتاة ولم تصدّق كلام فرد من أفراد عائلتك؟

- أنت زوج أختي ولست من لحمي ودمي... ما الذي جنيته من العبث معها؟

- لم أفعل.. كانت تحاول التودد إلي، وأرادت أن توقعني في حبائلها.

- هراء.. لا تحاول أن تكذب لتنقذ نفسك من هذه الورطة. إذا اقتربت منها ثانية، فلن أكون مسؤولاً عن تصرفاتي..

كانت يدا لازارو تسمرانه على الحائط ونبرة صوته لا تخلو من التهديد..

- حذار أن تقترب منها.

- أتقصد أنك لم تطردها؟

- ولِمَ أطردها والذنب ذنبك أنت؟ أريدك أن تعلم أنني عيّنتها كمساعدتي الشخصية.. وإذا أقدمت على تصرف واحد غير مرغوب فيه، فسأخبر أختي بكل شيء..

استجمع مالفوليو قواه وقال: «كانت هي من نصب لي فخاً... تماماً كما فعلت معك».

- ما الذي تقوله؟ حاولت إغواءها بالحديث عن الترقية.. ولاحقتها طوال الوقت.. لم تكن كاتلين من أخبرني بذلك بل أحد الموظفين

العاملين في الإدارة.

- إغواؤها!

علت إمارات الغضب والسخط وجه مالفوليو وهو يردف: «كانت هي من يلاحقني يا لازارو... فبعد أن نالت شهادة عالية، ظنت أنها تملك الحق في أن تشغل منصباً مرموقاً.. وطلبت مني أن أسهل لها الأمور لتحل محل جينا.. إنها معتادة على طلب الخدمات.. بما في ذلك التلاعب ببيانات راتبها.. كان عليك أن تراها...».

رفع مالفوليو يده ليبعد خصلة من شعره عن وجهه، وزادت حدة صوته وهو يرى لازارو يتراجع خطوة إلى الوراء ويهز رأسه آبياً الإصغاء إلى الكلام الذي زرع الشك في قلبه.

- خرصت على مطاردتي من مكان إلى آخر فوقعت في حيرة من أمري.. وعندما قلت لها إنني لن أتمكن من مساعدتها، عضتني وراحت تصرخ مدعية بأنني تحرشت بها.

- أنت تكذب لتنقذ نفسك... فأنت لا تساوي شيئاً من دون عائلتك ووظيفتك... وآل رينالدي.. ولو لم أمد لك يدي وأنتشلك من الفشل الذي كنت تعيش فيه لبقيت إنساناً طفيلياً تافهاً تماماً كما كنت قبل أن تلتقي أختي.

وأطلق شتيمة خافتة ليعود ويضيف: «لمَ أخفي عنها أفعالك؟ أنا واثق من أن حياتها ستكون أفضل من دونك.. من الأفضل أن أخبرها الحقيقة...».

- لا... أحب أنتونيا ولا يمكنني خسارتها وخسارة طفليّ بسبب تلك الساقطة.. أظنها أنها مستاءة جداً مني وتريد ترك العمل، أليس كذلك؟

وضحك ضحكة ساخرة ثم أضاف: «لكنها نسيت استياءها عندما ضاعفت راتبها.. ولم يعد وجودي يزعجها طالما أن الثمن مناسب».

شعر لازارو بالدم يغلي في عروقه، على الرغم من إحساسه ببعض

www.elromancia.com

الارتياح. إذا كان مالفوليو يقول الحقيقة فهذا يعني أن أخته وولديها في أمان.. أما كاتلين.. وسرعان ما انحسرت موجة الارتياح التي غمرته منذ لحظات. كان لازارو واثقاً من أن تعابير الألم التي قرأها في عينيها صادقة... وقد شعر بتسارع نبضات قلبها بين ضلوعها عندما أخذها بين ذراعيه. فهل يعقل أن تكون قد خدعته وهو صاحب الخبرة الطويلة في النساء؟

- أظنك تعرف من تكون، أليس كذلك؟

بدا صوت مالفوليو وكأنه آتٍ من مكان بعيد جداً، غير أنه لم يتمكن من إنهاء كلامه، إذ فتحت الأبواب وخرجت منها أنتونيا..

اختار هاتف لازارو الخلوي أن يرن في هذه اللحظة بالذات لينقذه من مواجهة أخته والإدعاء بأنّ شيئاً لم يحصل. سارع إلى فتح هاتفه تاركاً لمالفوليو مهمة التحدث إلى أنتونيا وإقناعها بأنهما سينضمان إليها بعد قليل. أخذ لازارو بعض الوقت ليتمكّن من التركيز على الصوت الناعم الذي كان يتحدث عند الطرف الآخر من الهاتف، وقد عرّفت صاحبته عن نفسها بأنها بائعة في أحد المخازن الكبرى في المدينة..

- هلا سمحت لي بأن أراجع معك مجموعة المشتريات قبل التوقيع على الفاتورة؟

أصغى إليها وهي تتلو قائمة طويلة من البذلات النسائية، والمعاطف، والأحذية والجزمات التي تحمل توقيع أشهر المصممين العالميين، وتساءل في سره كيف استطاعت تلك المرأة التي ادعت أنها قادرة على تدبر أمورها شراء مجموعة من الملابس توازي قيمتها الميزانية السنوية المخصصة لملابس جينا، وذلك في أقل من ساعة واحدة؟

- هذا إلى جانب مجموعة كاملة من الحقائب. أظنك على علم بهذه المشتريات، أليس كذلك؟

- أجل..

وتذكر لازارو أنه دفع مبلغاً كبيراً من المال عندما بدأت جينا بالعمل معه ليؤمن لها ملابس تليق بوظيفتها الجديدة. لم يسبق له قط من قبل أن دقق في أي فاتورة ولن يفعل ذلك الآن بعد ما سمعه من مالفوليو.

أقفل لازارو الخط وابتسم لأخته ابتسامة رقيقة بينما كان مالفوليو يؤكد لها أنهما سيلحقان بها بعد قليل.

سألته أنتونيا بقلق: «هل كل شيء على ما يرام؟».

- طبعاً..

وافتر ثغره عن ابتسامة سرعان ما تلاشت عند دخول أخته إلى المنزل، وعودتهما إلى الحديث السابق.

- إنها ابنة خالة روكسان.

ما كاد مالفوليو يتفوه بتلك الكلمات حتى كسا الشحوب وجه لازارو..

كانت كاتلين بيل ابنة خالة روكسان..

ولم يكن يكره أحداً في العالم بقدر كرهه لروكسان مارتن...

إنها المرأة التي حرضت الأخ ضد أخيه.

إنها المرأة التي تلطخت يداها بالدم ولعلها قتلت أخاه بيديها..

وتابع مالفوليو كلامه قائلاً بنبرة فظة: «تكلّمت عن العائلة وشددت على صلة الدم.. حسناً، يبدو أن مساعدتك الشخصية الجديدة تحمل في عروقها فصيلة الدم نفسها التي تجري في عروق روكسان مارتن».

لا!

أبى عقل لازارو أن يتقبل الحقيقة المرة... فالمرأة التي تحدث إليها بعد ظهر اليوم وضمها بين ذراعيه تختلف كلياً، كلياً عن روكسان... لكن وفيما هو يستعد لدحض ادعاءاته، منعه عقله من ذلك..

كانت العينان اللتان التقتا بعينيه تطلقان شرارات خطيرة. وعلى الرغم من الرغبة الشديدة التي تملكته في الاتصال بالمتجر وإلغاء

حسابها، والتراجع عن عرض العمل الذي قدمه لها، إلا أنّ طيف ابتسامة ساخرة ظهر على طرف ثغره. ماذا لو استخدم فتاة ساقطة، منافقة ومخادعة؟ كان يمكن للأمر أن يسوء أكثر... لو لم يعرف حقيقتها..

– من الأفضل أن يكون ما قلته هو الحقيقة، لأنك إذا ألحقت الأذى بأختي...

سمر لازاور زوج أخته على الحائط بنظراته الثاقبة وهو يردف: «سأدعك على قيد الحياة فقط لأجعلك تندم على ما فعلته».

– ماذا عن كاتلين؟

بدا القلق في عينيه وهو يطرح هذا السؤال البغيض..

– هل ستتخلص منها؟ أقصد.. بعد ما سمعته مني...

– أتخلص منها؟ ولمَ أفعل هذا بعد أن بدأت الأمور تزداد إثارة؟ إذا كانت كاتلين بيل تظن نفسها قادرة على خداعي، فعليها أن تدرك أنها اختارت الشخص الخطأ. إنني أتحرق شوقاً لمعرفة ما تخبأه لي في المستقبل.

٤ - في عرين الأسد

– تقول هذه الرسالة القصيرة إن روبيرتا اتصلت بي.

كان صوته ينطوي على تلك النبرة التحذيرية التي باتت تألفها. مضى أسبوع بأكمله على بدء عملها في مكتب لازارو وها هي تنتظر حلول نهاية النهار بفارغ الصبر لتتمكن من أن تودعه على أن تعود وتلتقي به نهار الاثنين.

– هذا صحيح.

لم ترفع كاتلين نظرها نحوه بل فضّلت أن تحدق في الرسالة القصيرة التي وضعها على طاولة المكتب وأن تسمّر عينيها على أصابعه القوية فوقها..

– اتصلت منذ نصف ساعة لكنك كنت تتحدث على الهاتف..

– وماذا قلت لها؟

– الحقيقة.. قلت لها إن لديك اتصال آخر.. وسأبلغك بأنها اتصلت..

ومدت أصابعها المرتعشة مشيرة إلى رسالتها القصيرة وأضافت: «وهذا ما فعلته بالضبط...».

– أظنها قالت لك إنها مسألة طارئة..

– هذا صحيح.. لكن الجميع يقولون...

– هل تدركين أنني أحاول الاتصال بها منذ أكثر من يومين؟؟

www.elromancia.com

كان صوته غاية في البرودة..

- بدت قلقة.. بدت وكأنها...

- لا شك عندي في أنها قلقة لأنني طلبت منها الاتصال بي قبل الساعة الخامسة من بعد ظهر نهار الجمعة، وإلا سأجد نفسي مرغماً على رفع دعوى قضائية... وهذا ما كنت على وشك أن أفعله قبل أن أرى الرسالة القصيرة التي تركتها على مكتبي... لمَ لم يخطر في بالك أن تتحققي من الأمر؟ تباً لك..

- مهلاً...

على الرغم من أنها اختارت حذاءً بكعب عالٍ إلا أنّ قامتها لم تكن توازي قامته، فشعرت بشيء من التردد أمام غضبه الساحق، لكنها قررت ألا تتراجع عن مواجهته. فمنذ بداية الأسبوع وهي تعاني الأمرين من طباعه السيئة وكأن الرجل الذي أجرى المقابلة معها رحل إلى غير عودة.. وتساءلت مراراً في سرها ما إذا كانت قادرة على الاستمرار في العمل معه حتى نهاية الأسبوع.

- لم أجد اسمها على قائمة جينا الشهيرة، وإذا قمت بتحويل مكالمة كل امرأة قلقة، منهارة، غارقة في دموعها أو ثملة فعليك أن تترك مكتبك وتمسك الهاتف بيدك طيلة النهار مردداً «السيد رينالدي يتكلم...».

لم تتمكن كاتلين من ضبط نوبة الغضب التي استولت عليها، فأجابها لازارو بنبرة لاذعة وقد لوى فمه وهو يحاول أن يضبط نفسه لئلا يبتسم: «في المرة المقبلة التي يتصل فيها شخص لا تعرفينه، عليك أن تراجعيني أولاً».

واختار الهاتف هذه اللحظة بالذات ليرن فرفعت كاتلين السماعة وعرّفت عن نفسها بنبرة هادئة على الرغم من نيران الغضب المستعرة في داخلها... وإذا ببريق غريب يومض في عينيها.

- لحظة من فضلك، سأتأكد مما إذا كان هنا.. إنها تانيا..

ورمته بابتسامة خبيثة قبل أن تسأل: «هل ترغب في التحدث إليها؟».

- كلا.

- لكنها تقول إن الأمر طارئ كما بدا صوتها قلقاً.

- قولي لها إنني بدأت عطلة نهاية الأسبوع..

ومرر يده في خصلات شعره مضيفاً: «لكنك طلبت منها الانتظار قليلاً وستعلم حتماً أنني هنا».

- آسفة لأنني جعلتك تنتظرين...

راحت كاتلين تتكلم بنبرة رقيقة مقنعة: «ظننت أنني قد أتمكن من اللحاق به عند مكتب الاستقبال.. لكنه غادر ولن يعود في عطلة نهاية الأسبوع. سأبلغه أنك اتصلت به».

أعادت كاتلين السماعة إلى مكانها وقررت الانتظار حتى نهار الاثنين إذا اقتضى الأمر..

- حسناً..

وهز كتفيه بلامبالاة وأضاف: «في المرة المقبلة....».

وتوقف فجأة عن الكلام..

- ماذا؟ هل تريد مني أن أحول الاتصالات أم أراجعك أولاً أم آخذ مبادرة شخصية؟

- حسناً.. حسناً...

ورفع يديه عالياً تعبيراً عن سخطه وصرخ: «أتقبّل هذا».

- وأنا أيضاً... أنتظر اعتذارك..

وللمرة الأولى منذ أسبوع، التفت لازارو نحوها وابتسم....

- لا تبالغي.. عليّ أن أتصل بروبيرتا وأطلب من المحامي إلغاء الدعوى....

ولم تفارق البسمة شفتيه وهو يردف: «اسمعي.. لمَ لا تعودين إلى المنزل؟».

كان هذا الاقتراح أفضل من الاعتذار بكثير، نظراً لأنها لم تعتد مغادرة المكتب قبل منتصف الليل...

- حسناً.. إن كنت واثقاً من ذلك...

- طبعاً.. بذلت الكثير من الجهد خلال هذا الأسبوع.

إنه أول إطراء تسمعه منذ بدأت العمل في هذا المكتب، فتحولت نيران الغضب التي تتآكلها رماداً بلمح البصر. حملت حقيبة يدها ونظرت إليه مبتسمة..

- أراك غداً عند الساعة السابعة صباحاً.

- ماذا؟ هل نسيت أنها عطلة نهاية الأسبوع؟

- ولهذا السبب بالذات قررت أن أقصد المنتجع في شبه الجزيرة... كنت أدرس مسألة شرائه ليتمكّن زبائني الأجانب من الفرار من زحمة المدينة بحثاً عن الاستجمام في العطلات... ولا بد من أن أمضي عطلة نهاية الأسبوع فيه.

- لكننا لم نحجز فيه.

كانت كاتلين تحلم بأن تسترخي في حوض من المياه الساخنة بعد أن تضع على وجهها قناعاً مغذياً للبشرة، أو أن تسترخي بتكاسل من دون أن تفعل شيئاً بعيداً عن ضغوطات عملها..

هز لازارو كتفيه بلامبالاة وأجاب: «يمكننا أن نتصل بهم في الغد. أود التأكد من براعتهم في التعامل مع الزبائن الذين يتصلون في اللحظة الأخيرة.. سنستعمل أسماء وهمية.. لا أريدهم أن يعلموا بمجيئي».

وإذ لاحظ عبوس وجهها، تابع: «إنني معتاد على استباق الأمور.. وهذا هو سر نجاحي يا كاتلين.. فلا تنسي ذلك أبداً؟».

وعلى الرغم من أنه كان لا يزال يبتسم، إلا أن عينيه حملتا شيئاً آخر... فأحست كاتلين وهي متوجهة نحو الباب وكأنه يوجه إليها تحذيراً...

وعند الساعة السابعة من صباح اليوم التالي، كانت كاتلين تنظر إلى جيريمي وهو يضغط على جهاز التحكم عن بعد ويفتح البوابة الخارجية لمنزل لازارو الفخم فأدركت أن العمل مع رينالدي العظيم يتطلب منها

أن تتخلى عن حياتها الشخصية. فخلال الأسبوع الأول من العمل، اكتشفت أن دور مساعدة لازارو الشخصية هو دور يتطلب الكثير من الجهد، كما يتطلب أن تعمل معه في الفندق أو في منزله وفق ما يقتضيه جدول أعماله الحافل. وخلال الأسبوع الذي أمضته برفقته، قطعت كاتلين أميالاً في الجو أكثر مما فعلت طوال حياتها فلازارو يستخدم طائرات الهيليكوبتر تماماً كما يستخدم الناس سيارات الأجرة، والسفر ما بين الولايات بهدف المشاركة في اجتماع لا يستغرق ساعتين أمر عاديّ. كانت كاتلين تستيقظ قبل طلوع الفجر فتستحم وترتدي ملابسها قبل وصول سائق لازارو ليقلها إلى المكتب حيث يبدأ نهارها المرهق.. ونادراً ما كانت تخلد إلى فراشها قبل منتصف الليل لتعود وتستيقظ مذعورة على رنين الساعة المنبهة التي تعلن بدء العرض البهلواني المضني من جديد.

ارتشفت كاتلين قهوتها آملة أن يعطي الكافيين مفعوله قريباً جداً ثم ترجلت من السيارة وقرعت باب المنزل الأمامي وهي تتساءل في سرها كيف سيكون مزاجه اليوم.

لم تكن كاتلين معتادة على أن يجيبها أحد فدفعت الباب ودخلت المنزل. كان وقع حذائها ذي الكعب العالي على البلاط يتردد في كافة أنحاء المكان ويتلاشى كلما وطأت السجاد السميك الفاخر المفروش على الأرض. إنها المرة الثالثة التي تقصد فيها منزله في الصباح، وفي كل مرة كان لازارو يحييها باقتضاب ويستعرض معها بإيجاز جدول أعمالهما اليومي..

لكنها لم تجد له أيّ أثر هذا الصباح..

أحست وكأنها دخيلة وهي تجتاز الرواق الطويل المظلم. لم تعتد بعد على هذا المكان المترف، ما جعلها تقف مفتونة أمام تفاصيله الفخمة. فقد كان قصره المجهّز بدقة لا مثيل لها، يجمع ما بين قطع الأثاث الفخمة القديمة الطراز وآخر ما توصلت إليه التكنولوجيا الحديثة

من أجهزة. . ولعل أبرز ما لفت انتباهها هو أن القصر وعلى الرغم من روعته، يفتقر إلى اللمسة الأنثوية فلا أثر للازهار في الزوايا، كما غابت الصور الجميلة فوق قطع الأثاث الخشبية.

اختلست كاتلين النظر إلى الردهة فوجدتها في حالة من الفوضى العامرة على غير عادة. لكن الوقت لا يزال مبكراً ولم يتسنّ بعد لمدبرة المنزل أن ترتبها. وفيما وقفت كاتلين تتأمل الوسادات المكدسة على الأرض وهي مستغرقة في التفكير طالعتها رائحة عطر أنثوي قوي تغلغلت في أنفها، ورأت جهاز الستيريو يومض من بعيد وكأنه منارة وسط الظلمة. . . لابد أنه نسي أن يطفئه قبل أن يخلد إلى فراشه. توجهت كاتلين إلى المطبخ وهي تهز برأسها آبية الاعتراف بأن ما رأته أثار انزعاجها.

عليك أن تعتادي الأمر يا كاتلين فالعمل مع لازارو عن قرب يفرض عليها أن تعتاد على فكرة التعرف على وجه جديد في كل مرة. . . وجوه لا تعد ولا تحصى. . لوسي، تابيتا، ماندي، تانيا. . وكل اسم من هذه الأسماء يتحوّل إلى سكين تُغرز في قلبها كلما تناهى إليها صوت صاحبته عند الطرف الآخر من الهاتف. . وكلما رفض لازارو الرد على المكالمة تشعر وكأن جرحها بدأ يندمل. .

لعله برفقة بونيتا، تلك المرأة التي يحرص لازارو على الرد على اتصالاتها. . . صاحبة الصوت الرخيم المثير الذي لا يقوى لازارو على مقاومته والقادر على سحبه من اجتماعاته. .

أحست كاتلين بغصة في حلقها وتساءلت في سرها عن طبيعة ردّ فعلها إذا ما ظهرت بونيتا الآن أمامها. . . لكنها سرعان ما عادت وذكرت نفسها بأنها مجرد موظفة عنده. . .

ولا يهم ما تشعر به حياله. . .

لكن وعلى الرغم من الجهد الذي بذلته لتذكّر نفسها بموقعها في حياته، لم تتمكن من إسكات صرخات الألم التي تعالت في أعماقها

لدى دخولها المطبخ ورؤيتها مخلّفات سهرة الليلة الفائتة على الطاولة.

حاولت أن تتجاهل آثار حمرة الشفاه على إحدى الكؤوس لكن من دون جدوى. . وتساءلت عما إذا كانت تقاطع شيئاً ما. . . فاستجمعت شجاعتها وسارعت إلى نزول السلم حافية القدمين متفادية أن تقع عيناها على جمال ساحر آخاذ!

إلا أنها وجدت نفسها أمام لازارو!

تباً! تمنت كاتلين في سرها أن تخفي ظلال الضوء الحمرة التي علت خديها وشغلت نفسها بحقيبتها. . ألم يكن بإمكانه أن يرتدي ملابسه كلها؟

بدا لازارو مرتبكاً وقد خرج للتو من الحمام مرتدياً سرواله وحاملاً منشفته في يده. كما بدا وسيماً إلى حد لا يقاوم.

- تأخرت. . .

تدلت خصلات شعره المبلل على جبينه، وكادت رائحة عطر ما بعد الحلاقة الممزوجة برائحة بشرته الرطبة أن تخنقها وهو يمر بقربها. .

- قهوة؟

سؤال بسيط، ولا ضرورة له، مع أن الكافيين هو صديقها الوحيد الذي ساعدها على تحمّل مشقات الأسبوع الماضي.

- قهوة؟

قطب لازارو أمام صمتها المطبق وإيماءة رأسها الخجولة المترددة. . ثم أدار لها ظهره، ما زاد من حدة توترها. . غرست أظافرها في راحة يدها وهي تنظر بطرف عينها إلى عضلات جسمه فيما هو يمد يده ليفتح خزانة المطبخ. . . ليته يرتدي ملابسه. . . ليتهما يستأنفان عملهما الروتيني. . . فوجود لازارو في المطبخ وبهذا الشكل أطلق العنان لمخيلتها. .

وعصفت رياح عاتية في داخلها وحملت أوراق أفكارها المبعثرة وطارت بها عالياً. . فراحت تتخيل صاحب هذا الوجه الغامض عادة

وهو يبتسم لها بحنان عند الصباح، ويعانقها بتكاسل..

- تفضلي..

لم تكن يداه ترتعشان مثل يديها وهو يقدم لها فنجان القهوة... كانت كاتلين تجلس على أحد المقاعد في المطبخ عندما مال نحوها قليلاً ليضع فنجان القهوة على الطاولة خلفها.

* * *

كم هي فاتنة! صحيح أنها كتلة من الأعصاب لكنها فاتنة بكل ما للكلمة من معنى..

كان الأسبوع الفائت مرهقاً جداً، وقد توقّع منها أن ترتكب خطأً أو هفوة تفضح حقيقة أمرها لكنها بدت أشبه بنسمة هواء عليلة، تدخل المكتب وتخرج منه وعلى وجهها ابتسامة عريضة، آسرة قلوب زملائها ورب عملها على حد سواء. لم يتوقع لازارو منها أن تكون على مستوى الدور الذي عهده إليها، لكن ما أن أتقنت قواعد اللعبة الأساسية حتى برعت فيها... وكاد ينسى في بعض الأحيان حقيقتها..

ففي مثل هذه اللحظات، يبذل لازارو ما في وسعه لينسى أنها قريبة روكسان.. ويطلق العنان لنفسه فيتأمل يديها المضمومتين في حضنها، وساقيها اللتين لا تعرفان الثبات أبداً.. لِمَ لم تخالجه هذه الأحاسيس ليلة البارحة وهو يصغي إلى ثرثرة ماندي.. أو ميندي... لم يعد يذكر اسمها....

فعلى الرغم من جمالها الفائق، لم يشعر بذرة من اللهفة إليها ما أثار قلقه.. إنها المرة الأولى التي يواجه فيها مشكلة من هذا النوع. لذا طلب من سائقه أن يعيد ماندي إلى منزلها متذرعاً بالتعب..

تعب زالت آثاره في الصباح بسحر ساحر.. أحس لازارو بالجو مفعماً بالإثارة، وتدافعت في رأسه صور محمومة، ورأى نفسه يجذبها إليه ويعانقها بلهفة قابلتها بلهفة أكبر...

لم ينبس أي منهما ببنت شفة بل لزما الصمت الكلي وكأنهما يشعران بما يسري بينهما.. شعور لا يمكن إنكاره.. لكن ثمة قطعة جليد تقف كحاجز بينهما... ولا بد من تحطيمها..

- ما رأيك لو نصعد إلى الطابق العلوي وننهي المسألة..؟

كان صوته أجش وعيناه تبتسمان لها بمكر..

لو سمعت كاتلين هذا الكلام من شخص آخر وفي ظروف مختلفة، لتمنت أن تموت... إلا أنها انفجرت ضاحكة وقد أحست بالارتياح لأنه أقر بالأمر وعالجه بالمزاح ليتسنى لها أن تحذو حذوه..

- المشكلة هي أنني لا أستطيع البقاء في هذه الحالة طوال النهار.. فهذا مزعج للغاية..

- عليك أن تعتاد الأمر لأنني راجعت جدول الأعمال وتبين لي أنّ لا وقت لدينا لهذه التفاهات... على أيّ حال، انتهيت للتو من إصلاح زينة وجهي.

انفجر لازارو ضاحكاً ولحسن حظها أن حمرة خديها تلاشت.. وأدركت كاتلين في تلك اللحظة أنها تغازله.. كيف يعقل أن تغازل كاتلين بيل، هذه الفتاة العذراء، الرجل الأكثر إثارة في العالم؟؟

ويبدو أنها برعت في ذلك إذ لاحظت نبرة الندم التي انطوى عليها صوته وهو يبتسم لها قائلاً:

- هذا مؤسف حقاً...

حملت كاتلين كوب القهوة وارتشفت القليل منه...

- هذا مؤسف حقاً... أنا واثق من أننا كنا سنلهو كثيراً..

وعلى الرغم من أنه راح يتصفح الجريدة عند مغادرتهما المدينة، إلا أنّ هذا لم يثنه عن إصدار الأوامر.. فقال لها بينما كانت تهم بإخراج هاتفها من حقيبة يدها: «احجزي لنفسك في قسم التدليك مع أفضل وسائل العناية.. واحجزي لي ملعب الغولف.. قولي لهم إنني أرغب في استئجار كافة المعدات..».

أجابته بفظاظة بينما هي تطلب الرقم: «النساء يلعبنّ الغولف أيضاً.. وبعضهنّ بارعات فيه..».

- لا بأس، يمكنك أن تلعبي الغولف إن شئت، ولا مانع عندي من أن أخضع للتدليك...

مع أنها لم تكن تعرف شيئاً عن لعبة الغولف باستثناء أنها مملة، أجرت الحجوزات اللازمة للسيد هولند ومساعدته الآنسة بيل، وأحست بموجة احمرار تجتاح وجهها وهي تفعل ذلك.. وإذ وجدت عرضه مغرياً جداً، طلبت منهم أن يؤمنوا لها بعض العلاجات المترفة...

قال لها بعد أن أقفلت الخط: «لم يعجبني الاسم المستعار الذي اخترته».

أجابته كاتلين مازحة: «لست أنا من يرغب في التخفي».

لكن يبدو أنه لم يفهم الدعابة أو أساء ترجمة كلامها، لأن قسمات وجهه تصلبت فجأة وضاقت عيناه لبرهة من الزمن وراح يحدق فيها كما كان يفعل طوال الأسبوع الماضي...

كان يحدق فيها وكأنه يكرهها..

علا رنين هاتفه الخلوي من داخل جيبه لكنه لم يبدِ أي استعداد للرد. أشاح بنظره بعيداً متأملاً المناظر الطبيعية من النافذة، وإمارات الكآبة بادية على وجهه..

أحست كاتلين بالملل وقد أدركت أن اللحظات الجميلة التي أمضياها معاً في الصباح باتت ذكرى بعيدة.. بدا واضحاً أن نهارها سيكون طويلاً جداً...

- كاتلين بيل!

عندما رن هاتفها الخلوي، أجابت كاتلين من دون أن تتحقق من هوية المتصل آملة أن يخفف ذلك، وإن قليلاً، من المزاج الكئيب الذي أغرق لازارو نفسه فيه.

- انتونيا!

رماها لازارو بنظرة حادة...

- كيف حالك؟

- إنه اليوم المنتظر؟؟

شعرت كاتلين بالإثارة الممزوجة بالخوف في نبرة صوت أخته...

- إننا في طريقنا إلى المستشفى.. حاولت الاتصال بلازارو في المنزل وعلى هاتفه الخلوي لكنه لم يجب.. لا أظنه برفقته، أليس كذلك؟

لم يتسنَّ لها أن تجيب عن سؤالها إذ تأفف لازارو وأومأ لها بيده لتناوله الهاتف.. وبدا صوته ناعماً رقيقاً وهو يتحدث إلى أخته.

- كيف حالك؟؟ إنها أخبار رائعة..

وتوقف قليلاً عن الكلام ثم أضاف ضاحكاً: «لا داعي لذلك.. تعلمين جيداً أن الولادة الثانية تكون أكثر سهولة...».

أرادت كاتلين أن تسأله منذ متى أصبح خبيراً في الولادة، لكنها فضلت أن تحتفظ بذلك لنفسها..

- ألم تدركي بعد أنني خبير في كافة الأمور؟؟ ظننت انك لن تلدي قبل أسبوع...

كان ينقر بأصابعه على فخذه وهو يصغي إلى رد أنتونيا..

- أسأت اختيار التوقيت.. لا يمكنني إلغاء رحلة نهاية الأسبوع.. كنت أستعد لها منذ فترة طويلة..

كانت كاتلين تحدق فيه وهو يختلق الأكاذيب بسهولة فائقة..

- ليتني أستطيع ذلك.. لكن ما باليد حيلة.. اتصلي بي فور ولادة الطفل.. حظاً سعيداً.

وأقفل الخط وأعاد الهاتف إلى كاتلين من دون أن يتفوه بكلمة ثم عاد لينظر من النافذة تاركاً كاتلين تتخبط في أفكارها.

لم تكن المرة الأولى التي يكذب فيها لازارو على امرأة لكنها وجدت صعوبة كبرى في فهم السبب الذي دفعه للكذب على أخته التي

يحبها حباً لا يوصف، والتي توشك على أن تضع مولودها الثاني..

لم يكن من الصعب عليه أن يلغي هذه الرحلة لأن لا أحد يتوقع وصوله في المنتجع...

لم يغفل عنه استياء كاتلين مما حصل وشعر للمرة الأولى في حياته بالتوتر. فعلى الرغم من أنه لم يعر يوماً اهتماماً لرأي مساعدته الشخصية، إلا أنه شعر برغبة قوية في أن يطلب من جيريمي أن يركن السيارة جانباً ويترجل منها ليتمكن من البقاء وحيداً معها..

طقطق لازارو أصابعه بنفاد صبر محاولاً طرد تلك النزوة الغريبة.. لم يكن يرغب على الإطلاق في الانغماس في تأملاته في هذا اليوم بالذات... وهو لم يكن يشعر بالانزعاج من استياء كاتلين بل من خوفه وحقده..

كان يحاول جاهداً أن يجد موقعاً له مع هذه الحياة الجديدة التي سترى النور قريباً جداً.. حياة جديدة ستعيد لمّ شمل العائلة المشتت فيتسنى لها أن تجتمع وتتكلم...

حياة جديدة سترغمه على مواجهة الأموات..

٥ - رجل المفاجآت

كانت الأجواء العامة تعد بنهار مضنٍ جداً..

وجدت كاتلين المنتجع غاية في الروعة؛ فعند عبورهما الطريق الخاصة المكسوة بالحصى، طالعهما مشهد ملعب الغولف المذهل، مشهد أضفى شيئاً من النضارة على رطوبة الصيف الحار... وكانت المياه تتلألأ تحت أشعة الشمس في مشهد طبيعي يوحي بأن درجات الحرارة انخفضت قليلاً.

قبل أن تتصل به انتونيا ويغرق في صمت عميق لا تقطعه إلا بعض العبارات المقتضبة، حدّثها لازارو عن عملائه في الخارج الذين يحبون تمضية عطلات نهاية الأسبوع في أماكن نائية، بعيداً عن المدينة والفنادق مهما بلغت فخامتها. فلمَ لا يبحث عن سبيل يجعلهم ينفقون نقودهم في أماكن مماثلة فيما تذهب الأرباح كلها إلى حسابه الخاص؟

كان المبنى الفخم يوحي بالراحة، على الرغم من أنه يفتقر إلى اللمسات الجمالية. ومنذ اللحظة الأولى التي وطأت فيها أقدامهما أرض البهو الرئيسي البارد، الخالي من الزينة، وقادهما الحاجب إلى جناحيهما الفخمين، أدركت كاتلين سبب إصراره على امتلاك هذا المكان.

وقفت في غرفتها تختلس النظر إلى السرير الأبيض الكبير، وفي داخلها رغبة شديدة في خلع حذائها والارتماء عليه إذ شعرت وكأنها

www.elromancia.com

أمضت النهار كله في العمل مع أن الساعة لم تتجاوز التاسعة بعد.

لم تكد تمر ثوانٍ حتى قرع لازارو باب غرفتها، والحماسة بادية على ملامح وجهه، وطلب منها الانضمام إليه ليبدآ العمل.

صحيح أنها لم تكن المرة الأولى التي تراه فيها منهمكاً في عمله لكنه بدا اليوم مدهشاً إلى حد يفوق الوصف. راح يجري المقابلات مع كبار الموظفين فيما تولت كاتلين تدوين الملاحظات الهامة.

ولم تخفف استراحة الغداء من وطأة الضغط فما إن جلسا إلى المائدة حتى قرر لازارو أن يقوم بزيارة مفاجئة إلى المطبخ مصراً على طلب الطبق الوحيد الذي لم يكن متوفراً في ذلك النهار.

- تبدو راضياً عن نفسك.

أجابها بينما هو يغمس الهليون في الزبدة: «هذا صحيح.. فعلى الرغم مما يبدو عليه، يحتاج هذا المكان إلى الكثير من العمل».

- لكنه رائع..

- سأجعله أكثر روعة.. من حسن الحظ أنني نجحت في تخفيض ثمنه قليلاً.. يبدو أنهم يريدون بيعه في أقرب فرصة ممكنة.

- كيف عرفت ذلك؟

- لأنه من واجبي أن أعرف.. كان هذا النهار مجدياً للغاية..

- جيد!

بذلت كاتلين ما في وسعها لتركز اهتمامها على طبقها وهي تتكلم: «هل هذا يعني أننا سننهي عملنا قريباً؟».

- لماذا؟ هل أنت مرتبطة هذا المساء؟

- كلا، إنما أخشى أن تكون أنت مرتبطاً.

وأرغمت نفسها على رفع عينيها نحوه مضيفة: «أنجزنا اليوم كمية كبيرة من الأعمال.. وإذا استمرينا على هذا المنوال فقد نتمكن من العودة إلى ملبورن».

- هل تدركين كم يساوي هذا المكان؟

قاطعها لازارو ظناً منه أن الرقم الذي أعطاه سيثير دهشتها، إلا أنها لم تنبس ببنت شفة..

- على أي حال، لا يمكنني أن أتخذ قراراً بهذا الشأن من دون أن أطلع على كافة الأعمال في المنتجع...

وصمت لحظة ثم أضاف بنبرة أقل حدة:

- عليك أن تستمتعي بالتدليك بينما أقوم أنا بجولة في ملعب الغولف...

- لا يمكنني أن اتصورك كلاعب غولف..

- لست كذلك.

- ولكن لا يمكنك أن تفوز في لعبة الغولف عن طريق الخداع.

- الخداع؟

- أو التظاهر بالبراعة!

- لكنني بارع فعلاً.

وهب واقفاً ثم أضاف: «إنني أمقت هذه اللعبة بشدة لكن لا ذنب لي إن كنت بارعاً فيها».

وجدت كاتلين وهي مستلقية على الكرسي الخاص بالتدليك أن العمل كمساعدة لازارو رينالدي الشخصية يضفي شيئاً من الترف على حياتها. أغمضت عينيها وحاولت الاسترخاء، طاردة من رأسها كافة الأفكار التي تتزاحم فيه. إلا أن هذا لم يدم طويلاً.. فبينما كانت تتوق إلى الاسترخاء والغرق في حالة من النسيان الكلي، أحست وكأن يدين قويتين تجذبانها وترغمانها على مواجهة أفكارها من جديد.

وعندما ارتدت أخيراً مئزراً فضفاضاً وجلست في غرفتها ترتشف كوباً من الشاي، تساءلت في سرها عما إذا كانت تتحلى بالشجاعة الكافية لمواجهة لازارو هذا المساء على العشاء. فالرجل الذي كانت تتوق إلى رفقته منذ أكثر من سنتين، بدا اليوم مثيراً للإرهاق والحيرة.

ماذا لو تذرعت بالمرض؟

www.elromancia.com

ورن جرس هاتفها فالتفتت إليه لتتأكد من هوية المتصل وأدركت على الفور أنّ لا مفر من مواجهته.

- مرحباً يا أنتونيا.. كيف حالك؟

- بخير. أردت التحدث إلى لازارو لكن هاتفه الخلوي مقفل ولا أحد يجيب في غرفته.

أجابتها كاتلين على الفور: «إنه يلعب الغولف ولا بد أنه نسي أن يأخذ هاتفه معه».

وعندما سمعت التنهيدة العميقة التي أطلقتها أخته، قالت لها برقة: «سأذهب للتأكد مما إذا كان في غرفته، وإذا لم أجده فسأترك له رسالة قصيرة».

ولم تكد كاتلين تفتح باب غرفتها حتى تسمرت مكانها مصعوقة، فالرجل الذي تبحث عنه مر أمام غرفتها وقطب جبينه عندما سمعها تناديه.

- إنها انتونيا..

عادت إلى غرفتها وهي في حالة من الارتباك الشديد، وجلست ترتشف الشاي فيما لازارو يجيب على المكالمة.

- مذهل!

هذه هي المرة الأولى التي تسمعه فيها يسرف في التعبير عن انفعالاته.

- هل أخبرتها؟ لا بد أنها تشعر بالإثارة..

تمنت كاتلين لو تستطيع أن تغمض عينيها وتصغي إلى كلماته لتصدقها إلا أن عينيها أبتا أن تغمضا، وراحتا تتأملانه ملياً وهو يتكئ إلى الحائط وقد تصلّبت عضلات وجهه.

- آسف يا انتونيا، لكن الأعمال متراكمة وعلينا أن نبقى الليلة والقسم الأكبر من يوم الغد... أظن أن مالفوليو برفقتك... حسناً... أريد شراء ملعب الغولف.. علي أن أجرب حظي على الأقل.. لكنني

سأعود في أقرب فرصة ممكنة...

رأته وهو يكوّر، ولاحظت شحوب وجهه، وأحست بالجهد الذي يبذله ليلتقط أنفاسه ويتابع كلامه قائلاً: «كيف حال أمي؟».

أغمض لازارو عينيه وأخذ نفساً عميقاً قبل أن يضيف: «إني أتحرق شوقاً لرؤيتها لكنني لست واثقاً من موعد سفرنا إلى روما... يسرني أنك أطلقت عليه هذا الاسم.. لا، أقسم لك..».

وماتت الكلمات على شفتيه لبضع ثوانٍ وبدت إمارات البؤس واضحة على وجهه. أرادت كاتلين أن تهرع نحوه وتأخذ الهاتف من يده وتطلب من أنتونيا أن تتصل به في وقت لاحق إلا أن لازارو نجح في تمالك نفسه، وقال لها بنبرة مرحة: «لا بد أن لوكا يشعر بالفخر».

- هل أنجبت صبياً؟

لم يلتفت إليها بل أقفل الهاتف وأشاح بنظره بعيداً متأملاً ظلمة الليل من النافذة.

شعرت كاتلين بالندم لأنها أجابت على اتصال أخته وبقيت جالسة في الغرفة وهو يتحدث إليها. كانت واثقة من أن ثمة جانب فيه لا ترغب في رؤيته أبداً.

- أسموه لوكا.

كان يفترض بها أن تقدم له التهاني بالمولود الجديد لكن الظروف التي ترافقت مع ولادة الطفل منعتها من ذلك..

- تيمناً بأخي التوأم..

ورفع رأسه لتلتقي نظراته المثقلة بالاتهام بنظراتها وسألها: «هل التقيته من قبل؟».

أجابته وهي تجهل تماماً ما الذي جعلها تحمر خجلاً وتشعر بتأنيب الضمير مع أنها لم ترتكب أي خطأ: «أين يمكن أن ألتقيه؟».

لمَ يحدق بها وكأنها مذنبة فعلاً؟

- أثناء عملك في الفندق كمتدربة؟

www.elromancia.com

وضاقت عينا لازارو وهو يضيف: «ما الذي حسبتني ألمح إليه؟».

أتراه يعلم أنها ابنة خالة روكسان؟

أحست كاتلين بالعرق يتصبب من جبينها. كل عضلة من عضلات جسمها راحت تنتفض بقوة من شدة توترها.

- لست أدري. لكن لا أظنني التقيته.... حسناً، هل ترغب في أن أحجز وسيلة لتقلنا من هنا؟

أرادت أن تتصرف بطريقة طبيعية وتتحدث معه بنبرة رسمية: «إذا نجحنا في العثور على طائرة هيليكوبتر..».

هز لازارو برأسه وأجابها: «ثمة الكثير من الأعمال في انتظارنا هنا...».

لم يشأ الدخول في التفاصيل لأنه لم يكن قادراً على ذلك... فالأكاذيب التي رددها على مسمع أخته لا تتطابق مع الحقيقة أبداً... وأدركت كاتلين على الفور أنه لم يخطط لهذا النهار بهدف الاطلاع على الخدمات التي سيقدمها للنخبة من عملائه.. كان الهدف الأساسي من هذا النهار الفرار بعيداً عن الجميع.

وعندما انتقل فجأة ليلعب دور رب العمل طالباً منها أن تخرج مفكرتها ليتمكنا من مراجعة جدول أعماله، مع أن ملابسها ليست لائقة أبداً، أدركت كاتلين أن شكوكها في محلها.

- كان يفترض بنا أن نسافر إلى روما بعد أسبوع.. أريدك أن تقومي بالترتيبات اللازمة لنسافر في الغد..

- لكن ماذا عن أختك؟ ألا ترغب في رؤية..

- لم أطلب منك أن تنظمي حياتي الخاصة.. يمكنني الاهتمام بها بنفسي.. هل يمكنك اختيار هدية للمولود الجديد وإرسال باقة من الورود؟

- أتريد مني أن أشتري هدية لابن أختك؟

بذلت كاتلين ما في وسعها لتحافظ على نبرة السخرية في صوتها..

- ألديك أدنى فكرة عما ترغب في شرائه له؟

- أبداً.. هذا كل شيء..

وهب واقفاً فاستوقفته قائلة: «لازارو.. هل تسمح لي..».

- هل ستقترحين علي أن أشتري هدية لابن أختي بنفسي؟ أو أن أؤجل رحلتي إلى روما ليتسنى لي أن أمضي بعض الوقت مع أفراد عائلتي؟ أتعلمين... لا أرغب في الاستماع إلى نصائحك..

- لم أكن أنوي أن أقدم لك النصائح.. أريد فقط أن تعيد لي هاتفي..

أجاب لازارو للتو عن كافة الأسئلة التي دارت في ذهنها وأرادت أن تطرحها عليه بصوت عالٍ... لكن عندما رأت هذا الرجل القوي المعتدّ بنفسه مرتبكاً، وإن للحظات قليلة... عندما رأت إمارات الإحراج تعلو قسمات وجهه وهو يعيد إليها هاتفها، تمنت كاتلين لو أن معرفتها به وثيقة أكثر لتتمكن من طرح تلك الأسئلة..

- أعلم أنني...

بدا عاجزاً عن متابعة الكلام، وماتت محاولته لتبرير نفسه في مهدها: «أنت لا تفهمين..».

- أعلم ذلك..

أمسكا معاً بجهاز الهاتف، تلك الآلة التي لا حياة فيها، وراحا يحدقان فيها. لم تغفل عن نبرة الحزن في صوته..

- ليتني أستطيع أن أجد الكلمات المناسبة.

أفلت جهاز الهاتف ورفع يده ليبعد خصلات شعره المتدلية على جبينه. توقّعت منه أن يغادر المكان من دون أن يتفوه بكلمة.. وشعرت بتردده وتوتره فأومأت برأسها عندما سألها عما إذا كان بإمكانه أن يستخدم الحمام.

أحس بالغثيان وهو يتحدث مع أنتونيا على الهاتف.. وتضرع إلى الله ليتمكّن من التظاهر بالفرح.. لا بد أن والدته في طريقها الآن إلى

المستشفى متأبطة ذراع عشيقها الجديد. . فتح لازارو الماء وغسل وجهه مراراً وتكراراً مبعداً حمرة الشفاه، وقوارير العطر، ومعجون الأسنان.

ولد الطفل لوكا وحمل الاسم الذي قض مضجعه وملأ لياليه بالكوابيس. . بات عليه أن يردد من الآن فصاعداً الاسم الذي يخنقه كلما تلفظ به. . رأى قطرات العرق تسيل على بشرته الشاحبة وأحس بالمرارة تتأجج في داخله. . يا للهول! أيفترض به أن يلغي الدعوة على العشاء؟ إنها المرة الأولى في حياته التي يشعر فيها بأنه عاجز عن السيطرة على نفسه، ولم يشأ بالتالي أن يبقى وحيداً.

- ليتني أستطيع مساعدتك. . .

دخلت كاتلين الحمام ووقفت وراءه تنظر إلى صورته المنعكسة في المرآة. . نظر لازارو إليها بدوره وقد تبين له أنه من الأفضل أن يتأمل جمالها بدلاً من مواجهة الشياطين التي تطوف من حوله. .

بدت للوهلة الأولى جريئة، لكن عندما استدار ليواجهها، كست الحمرة وجهها. . رفع ذقنها بأصابعها وراح يتأمل رموشها الكثيفة وهي ترتفع لتكشف عن قطعتين براقتين من الزمرد. . .

كم كانت عيناها الزرقاوان تشبهان عينيّ روكسان!

في لحظات معيّنة، كان لازارو ينسى أنها تستغله وينسى الحديث الذي دار بينه وبين مالفوليو. . وينسى أنها كذبت عليه وخدعته لتتمكن من دخول حياته. . لعلها تخدعه في هذه اللحظة بالذات وتسعى إلى شق طريقها إلى قلبه وكشف أسراره الخفية. . .

عند وفاة لوكا، أقسم لازارو ألا يرتبط بعلاقة حميمة مع أي امرأة. . لكن عندما نظر إلى كاتلين ورأى جمالها الساحر، قرر أن يعيد النظر في قراره فهو في أمس الحاجة إلى الارتماء في أحضان هذه المرأة التي حاول جاهداً مقاومتها منذ اللحظة الأولى التي دخلت فيها حياته. .

إنها الظلال الزرقاء نفسها. . . لكنه لاحظ هالة سوداء حول كل حدقة، ما أثار حيرته. . لم يتسنّ له أن يحدق في عيني روكسان عن

قرب. . ولم يشعر يوماً بأي انجذاب نحوها كما لم تراوده أيّ رغبة في عناقها لكن الأمر مختلف مع كاتلين. .

لم يُضطر لازارو يوماً لبذل الكثير من الجهد لبلوغ أقصى درجات التركيز وضبط النفس. . فجاذبيته توفّر له مجموعة لا تحصى من الجميلات اللواتي يرضخنّ لنزواته بسهولة، من دون أن يسببنّ له المشاكل.

لكن ما سبب حيرته؟ وما سبب تردده؟

بدا واضحاً أنها تركت أثراً فيه، وغيّرت مجرى تفكيره فصورتها لا تفارق مخيلته طوال النهار، ورائحتها تعبق في أنفه حتى في غيابها، مثيرة فيه أحاسيس غريبة. . تماماً كما كانت روكسان تفعل بلوكا. .

كانت هذه المرأة تتحلى بالقدرة على جعله يهيم بحبها. .

وقفت كاتلين على مسافة قريبة جداً منه حتى كادا يتلامسان. . غير أنها بدت مترددة بعض الشيء وكأنها شعرت بالصراع الذي يدور في داخله. . لو كانت الحياة عبارة عن سلسلة من الخيارات، لاختار لازارو في هذه اللحظة أن يرتمي في أحضانها. . . لكن وفقاً لشروطه الخاصة. . فهو قادر على ضبط نفسه والاكتفاء بتمضية ليلة واحدة معها فقط. . .

- لا أعض. .

على الرغم من السخرية التي حملتها هذه الكلمات إلا أنها سهلت الأمور عليه وذكّرته بحقيقة المرأة التي يتعامل معها. . فرقّتها الخارجية لن تعمي عينيه عن خبثها واستعدادها لاستغلاله. . .تماماً كما ينوي استغلالها. .

- لكنك معتادة على العض. .

ظهر طيف ابتسامة عند طرف فمه، إلا أن القسوة بقيت في عينيه. . .

مال لازارو نحوها فأغمضت كاتلين عينيها واستعدت لتستمتع باللحظة التي لطالما حلمت بها. . . لكن على الرغم من عذوبة اللحظة،

www.elromancia.com

لم تستطع كاتلين أن تنسى بأن هذه اللحظة المثالية ليست ملكها . . .

فالأحلام تنطوي على درجة عالية من الخطورة لأنها تحمل المرء إلى عالم لا وجود له . . فيتذوق ويستمتع بما لا يمكنه الحصول عليه . . وما لا يمكن أن يتوفر له أبداً . . .

حاولت جاهدة أن تغمض عينيها وتستسلم لسحره لكنها كانت تدرك أن حقيقتها لا تتطابق مع أحلامها . .

- لازارو . .

تراجعت قليلاً إلى الخلف وهزت رأسها وهي تدرك أنه سيخالها تحاول إغاظته، إلا أنها لم تكن قادرة على الادعاء أو المضي قدماً في شيء ليست واثقة منه . .

- هذا ليس . . .

أحس بترددها قبل أن تبتعد عنه، وأدرك أنه خسرها حتى قبل أن ترحل . . لكن رائحتها وملمسها الناعم ضاعفا من جوعه إليها . ما الذي يمنعه من أن يجذبها إليه ويضمها إلى صدره من جديد؟ فهو يتحلى بالقوة الجسدية اللازمة وعليه أن يستغلها .

وضع يده حول خصرها ليجذبها إليه، وأحكم قبضته على رأسها لئلا تتمكن من الإفلات منه، وراح يعانقها كما يفترض به أن يفعل . . وكما رغب في أن يعانقها منذ أن وقعت عيناه عليها . .

فاستسلمت له مستمتعة بحلاوة تلك اللحظة وعذوبتها . . وأغمضت عينيها منتشية من قربه ورائحته . .

وفجأة، أبعدت نفسها عنه إنما لأسباب مختلفة كلياً هذه المرة . فالغباء وانعدام الخبرة أمران مختلفان كلياً، وكاتلين تعي تماماً إلى أي طريق سيفضي هذا . أدركت ذلك لأن جسدها أخبرها الحقيقة . . . ولم يكذب عليها هذه المرة .

- لم أفعل ذلك من قبل .

لم تثنه كلماتها عن عناقها ما جعلها تشعر بالدوار .

- ما الذي تقصدينه؟

أحست بدفء أنفاسه على عنقها، فتوهج خداها . .

- هذا؟

- ماذا؟

رفع رأسه ليتأمل شعرها المشعث الذي جعله الزيت المغذي يبدو مبللاً وكأنها خرجت للتو من الحمام . وبدا وجهها شديد الحمرة وكأن مياه الحمام كانت حارة جداً . . .

- لم أعرف أي رجل من قبل .

هل تخاله مغفلاً؟

حدقت فيه بعينيها الزرقاوين الصافيتين فأغوته نفسه بأن يسكتها بعناق آخر . . لكن ما الذي تحاول أن تفعله؟ لقد أخبرته بأنها انفصلت عن صديقها منذ ستة أشهر . . . فكيف تدعي الآن بأنها عذراء لم تعرف رجلاً من قبل؟؟

وكادت تفلت منه ملاحظة لاذعة تضع حداً للعبة التي تحاول أن تلعبها معه . وشعر بعضلات ذراعيه تتشنج فيما هو يستعد لإبعادها عنه . . إلا أنه لم يفعل!

ربما عليه أن يشارك في لعبتها ويطلق العنان لأهوائه . .

شدّها إليه من جديد قائلاً: «من الأفضل في هذه الحالة ألا نستعجل الأمور . . .».

ترددت كاتلين وقد دبّ الذعر في أوصالها وراحت الأسئلة تتزاحم في رأسها . هل هي مستعدة لأن تخطو هذه الخطوة؟ هي واثقة تماماً من أنها تحبه لكن مشاعره نحوها لا تعدو كونها رغبة عابرة . سيتخلّص لازارو منها ما إن يتسلل الملل إليه ولن يرف له جفن . إن تورّطت معه فسينفتح في قلبها جرح لن تقوى الأيام على شفائه . فهل هي مستعدة لهذه المخاطرة؟

ودفعته عنها وهي تصرخ: «لا، لا، توقّف».

رد فعلها العنيف هذا أذهله وأخذه على حين غرة فأفلتها ما سمح لها بأن تبتعد عنه وتسوي ملابسها وكأنها تضع بينهما حاجزاً.

استشاط لازارو الذي لم يعتد الصد غضباً فاستدار على عقبيه وخرج من الغرفة صافقاً الباب خلفه.

٦ - أحمق أحمق

استسلمت كاتلين لسلطان النوم بعد ساعات طوال أمضتها في البكاء ولم تستفق إلا على رنين الهاتف. رفعت السماعة ليطالعها صوته وهو يقول باقتضاب: «من الأفضل أن ننطلق».

ولم يحاول التظاهر باللطف وهو يضيف: «سأنتظرك في الأسفل لتتناول الفطور معاً».

- لازارو؟

لم يجبها فأضافت: «سأوافيك في الأسفل بعد ٢٠ دقيقة».

أحمق.. أحمق..

بقيت هذه العبارة تتردد في ذهن لازارو أثناء استحمامه وارتدائه ملابسه.. وبقي صداها يتردد في رأسه بينما هو يتوجّه لتناول فطوره.

أحمق.. أحمق.. كيف سمح لنفسه بأن يطلق العنان لنفسه متناسياً من تكون؟ كيف سمح لنفسه بأن يعانقها؟ هل فقد صوابه لينسى كل شيء... لوكا.. وانطونيا.. والطفل.. ومالفوليو؟

كذبت كاتلين عليه ولم تخبره بأنها ابنة خالة روكسان... أما في ما يتعلق بمسألة عدم خبرتها!

طقطق لازارو أصابعه بينما كانت النادلة تصب له القهوة...

صحيح أنها ربحت هذه الجولة لكن اللعبة لم تنتهِ بعد.. ولن يسمح لنفسه بأن يتصرف بحماقة بعد اليوم..

www.elromancia.com

- صباح الخير..

لم يظهر أي تغيير على وجه لازارو عندما دخلت إلى قاعة الطعام، ورد التحية باقتضاب واستمر في مراجعة جدول أعماله على جهاز الكومبيوتر المحمول بينما شغلت كاتلين نفسها بصب القهوة بيدين مرتجفتين وأخذت قطعة من الكرواسان.

- سيقودك جيريمي إلى ميلبورن. علي أن أنجز بعض الأمور هنا وأعود بعدها بطائرة الهليكوبتر. أريد مراجعة بعض الأمور في المكتب..

- حجزت تذاكر السفر...

بذلت كاتلين قصارى جهدها لتتحدّث بشكل طبيعي: «تُقلع الطائرة المتوجهة إلى روما عند العاشرة. يفترض بنا أن نكون في المطار عند الثامنة. أتريد مني أن أوافيك إلى المكتب؟».

هز لازارو رأسه وأجاب: «اشتري هدية لأختي. ويمكنك بعدئذ أن تأخذي قسطاً من الراحة وتوضبي حقائبك أو تسددي فواتيرك...».

لم تصدق كاتلين أذنيها فقد اعترف في هذه اللحظة بأن لديها حياة خاصة.

- سنمر أنا وجيريمي لاصطحابك عند الساعة السادسة والنصف. يمكننا المرور على المستشفى ونحن في طريقنا إلى المطار..

- لا بأس..

راح لازارو يراقبها وهي تلتهم قطعة الحلوى بارتباك. ولاحظ الحيرة التي بدت في عينيها ما أثار سخطه: ما الذي كانت تتوقعه؟ أن يتناولا طعام الفطور معاً وكأن شيئاً لم يكن؟

- لازارو!

فاجأهما ترحيب أنتونيا الحار بأخيها. وكانت كاتلين قد اختارت أن تجلس في غرفة الانتظار وتراجع بعض الملاحظات بينما يزور لازارو

أخته قبل توجههما إلى المطار. ولعل السبب الوحيد الذي منعها من البقاء في السيارة برفقة السائق هو أنها تعلم أن مالفوليو لم يغادر الفندق بعد ما يعني أنها لن تلتقيه.

كم كانت دهشتهما عظيمة عندما استقبلتهما أنتونيا في الرواق حيث كانت تجر عربة الطفل من الحضانة إلى غرفتها، وقد بدت مشرقة..

- تسرني رؤيتك.. دعني أقدم لك ابن أختك..

- ألا يفترض بك أن تكوني في سريرك؟

قطب لازارو جبينه مختلساً النظر إلى الطفل...

- كنت أحضر لوكا من الحضانة.

- ألا يفترض بالممرضات أن يهتممنّ بهذا الأمر؟

انفجرت أنتونيا بالضحك وسألته: «حسناً، ما رأيك بابن أختك الجديد؟».

أقرّت كاتلين في سرها بأنها ما كانت لتقاوم الرغبة في اختلاس النظر إلى المولود الجديد، لو اختلفت الظروف والاشخاص. لكن عينيها بقيتا مسمرتين على لازارو، تراقبان كل رد فعل يصدر عنه... ولم تغب عنها إمارات الأسى التي علت وجهه مع أنه كان يبتسم، وأحست بالغصة في حلقه وهو يتأمل الطفل قائلاً: «إنه جميل جداً..».

كان صوته رقيقاً لكنه خالٍ من أي تعبير. ورأته يكوّر كفيه وكأنه يقاوم الرغبة التي تملّكته في لمسه. بدا مشتت الذهن ومشوشاً، وتمنت كاتلين لو تستطيع أن تشبك أصابعها بأصابعه المشدودة وتسانده في هذه اللحظة العصيبة..

- تقول أمي إنه نسخة عنك وعن لوكا عند ولادتكما.

كانت انتونيا تحدق في لازارو وعلامات القلق بادية على وجهها، فشعرت كاتلين بالتعاطف معها. كانت واثقة من أنها تتعذب بدورها.

- أين ماريانا؟

أشاح لازارو بنظره بعيداً عن الطفل وأضاف: «قال لي مالفوليو إنها

برفقتك في المستشفى».

- إنها برفقة... أمي.. هيا..

- هل وصلت؟

لم يبذل لازارو أي جهد لإخفاء نبرة الرعب التي بدت في صوته: «لكن كيف؟».

- استقلت الطائرة ما إن علمت أنني دخلت مرحلة المخاض. لو تكبدت عناء الرد على هاتفك يا لازارو، لعلمت بما يجري قبل بضع ساعات... جاء ماركو معها..

- ماركو؟

- صديقها..

- لا أظن أنه مجرد صديق عادي..

كان لازارو يتكلم بنبرة لاذعة ولكن أنتونيا تظاهرت بأنها لم تسمعه.

- تعال معي لتلقي التحية عليهما... يمكنك مرافقتنا يا كاتلين.. لا داعي للبقاء في قاعة الانتظار..

أرادت كاتلين الاعتذار من أنتونيا بطريقة مهذبة فهي تعي تماماً أن لازارو لن يحبذ وجودها أثناء هذا اللقاء العائلي الحميم. لكن قبل أن يتسنى لها أن تهز برأسها وتعتذر، أومأ لازارو برأسه قائلاً: «تعالي».

أمسك بمرفقها وقادها إلى الغرفة. وعلى الرغم من أن لازارو كان يمسك بها، إلا أنّ إحساساً غريباً تملكها بأنها هي من يمسك به..

عند دخولهم غرفة انتونيا، توجّه نحو أمه وقبّلها متجاهلاً ماركو، وراح يتحدث باللغة الايطالية فيما تسمرت كاتلين مكانها مرتبكة.

- أشكرك على الزهور.

ابتسمت أنتونيا لـ «كاتلين» بينما كانت تفتح الهدية مضيفة: «وأشكرك على هذه أيضاً..».

قال لازارو وعلى ثغره طيف ابتسامة: «أنا معتاد على اختيار العاملين عندي بدقة».

على الرغم من محاولات انتونيا الحثيثة لإشراك كاتلين في الحديث، تجاهلتها والدة لازارو عمداً، وقد بدا واضحاً أنها معتادة على وجود الموظفين في الجوار. راحوا يتحدثون بالايطالية، فيما ماركو يؤرجح ماريانا على ركبتيه، والجدة تضم الصغير لوكا بين ذراعيها. وعلى الرغم من أنها اعتادت أن تخلد إلى فراشها خلال الأسبوع الفائت وهي تستمع إلى الشريط الخاص بتعلم اللغة الايطالية، لم تتمكن من فهم كلمة واحد مما يقولونه.

لكنها لم تكن بحاجة إلى إتقان اللغة الايطالية لتفهم ما قالته والدة لازارو عندما حملت الطفل الصغير وأعطته لابنها: «ألا ترغب في حمل الطفل؟».

هز لازارو رأسه وأجابها: «لا أستطيع. علينا أن نتوجه إلى المطار..».

قاطعته أنتونيا قائلة: «يمكنك أن تحمله قليلاً بين ذراعيك..».

وعلى الرغم من أنها كانت تبتسم إلا أن كاتلين رأت الدموع تترقرق في عينيها فيما بقي لازارو مصمماً على موقفه.

- علينا أن نرحل... فالضباب يغطي أوروبا والرحلات كلها ألغيت. علينا أن نتحرك فوراً.

- هل أحببت أخي الصغير؟

كانت عينا ماريانا السوداوان شبيهتين بعيني لازارو باستثناء أنهما أكثر براءة..

قالت لها كاتلين مبتسمة: «إنه وسيم جداً.. تماماً مثل أخته الكبرى».

- أسميناه على اسم المرحوم خالي.

وفجأة، بدا قسم الولادة الدافئ أشد برودة من فصل الشتاء في أوروبا.

- هيا بنا.

كان لازارو من خرق جدار الصمت المروع، غير أنّ كلماته البسيطة هذه أثارت بلبلة في المكان إذ لحقت به والدته وهي تتكلم بالايطالية، في حين ملأ بكاء الطفل الغرفة وحذت أخته الكبرى حذوه وقد انزعجت من صراخ أخيها ورحيل خالها.

انفجرت انتونيا بالبكاء بدورها، ونجحت توسلاتها بصوت مبحوح في إقناع لازارو بأن يمنح أمه خمس دقائق من وقته الثمين. وأومأ برأسه مجدداً عندما قالت والدته: «سنخرج لنشرب القهوة معاً».

ابتسم لازارو لأخته وقال: «أطعمي الطفل وسنأخذ ماريانا معنا. بعدئذ، سأعود لأودعك».

ونظر إلى كاتلين بطرف عينه مضيفاً بنبرة جافة: «وافيني إلى السيارة بعد نصف ساعة».

خلال الفترة الوجيزة التي أمضتها في العمل معه، اعتادت أن تنتظره في الردهات أو في السيارة برفقة السائق حين يلبي دعوات عملائه على الغداء.

إنما ما لم يكن طبيعياً هو أن يتركها وحدها برفقة أخته. والأسوأ هو أنّ عليها أن تتظاهر وكأن شيئاً لم يحصل وتبتسم لها، وتقدم لها التهاني قبل أن تستدير لتغادر المكان. لكن بكاء أنتونيا المخنوق جعل قلب كاتلين ينفطر، وسواء أكانت مساعدة لازارو الشخصية أم لا.. وسواء أكانت مجرد زائرة عابرة أم لا.. فهي تبقى أولاً وأخيراً امرأة، ولا يمكن للمرأة أن تتجاهل مثيلتها وهي في هذه المحنة.

- أنا آسفة...

ازداد بكاء أنتونيا عندما اقتربت كاتلين منها وانهمرت دموعها الغزيرة على الطفل الذي راح يصرخ بصوت عالٍ من شدة الجوع.

- يبدو أنني أزعجت الطفل..

- خذي!

أخذت كاتلين مجموعة من المناديل الورقية من العلبة الموضوعة

بجانب السرير وأعطتها للمرأة المنتحبة. وعندما أدركت أن الأمر يتطلب أكثر من مناديل ورقية، أخذت الطفل منها وراحت تهزه بين ذراعيها في محاولة منها لإسكاته، مانحة انتونيا الفرصة كي تجهش بالبكاء.

- عالمي كله ينهار من حولي.. ظننت أن ولادة هذا الطفل ستساهم في إعادة لمّ شمل العائلة وطي صفحة الماضي...

كانت الدموع تنهمر بغزارة على وجنتيها وحزنها يتفاقم مع كل كلمة تتفوه بها..

- لن تعود الأمور إلى طبيعتها، أليس كذلك؟

- بلى.. ولكنها تتطلب بعض الوقت.

- مضت سنتان تقريباً.. سنتان وأنا حزينة على الأخ الذي مات وشقيقه التوأم الذي فقد حب الحياة.. قبل وفاة لوكا، وقع شجار عنيف بينهما وواجه لازارو لوكا بالديون المتراكمة عليه بسبب إنفاقه النقود بلا حساب..

- أعلم ذلك.

لم تكن كاتلين على علم بما جرى من روكسان فحسب بل قرأت الخبر في الصحف أيضاً، شأنها في ذلك شأن الجميع.

- لكن لازارو لم يتوقع حتماً أن تكون العاقبة مأساوية...

لم يكن بإمكان لازارو أن يتوقع أن يقود لوكا سيارته كالمجنون..

- الذنب ذنب لازارو.. لمَ فعل ذلك؟ لماذا؟

وتوقفت انتونيا عن الكلام فجأة ونظرت إلى كاتلين بعينين تعكسان احتجاجاً صامتاً.

- قلت بنفسك إنه كان مرغماً على ذلك..

عندما وضعت انتونيا يدها المرتجفة على فمها، وأغمضت عينيها المرعوبتين، أدركت كاتلين أن أنتونيا استرسلت في الكلام من دون أن تنوي ذلك.... أدركت أنها سمعت شيئاً لا يفترض بها أن تسمعه...

- ما الذي حصل يا أنتونيا؟

www.elromancia.com

- لا أستطيع الكلام..

كان مظهرها يثير الشفقة. فعلى الرغم من أنّ هذه المرأة تملك كل شيء.. تملك ثروة طائلة، وشكلاً حسناً... وزوجاً طيباً وولدين رائعين.. إلا أنها أثارت شفقة كاتلين..

- أخاف على أخي.. أخاف أن يكون مصيره مثل مصير لوكا..

- لكن لازارو لا يلعب القمار.. ولا يشرب الكحول.. لازارو...

- يعيش في جحيم... وأريدك منك أن تهتمي به... فأنت تعملين معه الآن وتمضين برفقته وقتاً طويلاً أكثر من أي فرد من عائلته...

ونظرت انتونيا في عيني كاتلين وهي تعيد الطفل إليها وأضافت: «أتوسل إليك أن تهتمي به».

- لا أظن أن لازارو يرحّب بذلك.

ورمتها بابتسامة مرتجفة وقد أحست بأن الخطوط لم تعد واضحة أمامها.. إنه رب عملها فقط.. وعليها أن تذكّر نفسها بهذا باستمرار وأن تحافظ على الإطار المهني للعلاقة التي تربط بينهما...

ودّعت كاتلين انتونيا واجتازت البهو الطويل... هل يمكنها أن تلغي حياتها بصورة مؤقتة من أجله؟ وتتعلق به أكثر فأكثر ليتخلى عنها في نهاية الأمر؟

ماذا يمكن أن يحصل إذا ما تورطت معه؟ هل سيكون مصيرها الطرد تماماً مثل جينا... شعرت كاتلين في تلك اللحظة برغبة في البكاء.

عندما يمل منها، وتؤدي المهمة المطلوبة على أكمل وجه، ينتهي كل شيء... لكن المشكلة هي أنّ ما تشعر به ليس مجرد نزوة عابرة بل هو الحب الأول في حياتها وعليها أن تشفى منه.

- ما الذي تفعلينه هنا؟

أجفلت كاتلين عند سماعها صوت مالفوليو وأخذ قلبها يتخبط بين ضلوعها فهذه هي المرة الأولى التي تواجهه فيها منذ أن حاول التحرّش بها.

- جاء لازارو لزيارة أخته.

- لم أسألك عن لازارو.. أحذرك من الاقتراب من عائلتي.

أومأت كاتلين برأسها وواصلت تقدمها غير أن مالفوليو لم يكن قد أنهى كلامه بعد.

- اسمعي يا كاتلين، لعلك تعتقدين أنك نجحت في تحقيق مأربك لكن دعيني أخبرك شيئاً عن شقيق زوجتي..

تابعت كاتلين سيرها رافضة أن تنظر إلى الخلف لكن صوته العدائي بقي يتردد في أذنيها على الرغم من أنها لم تعد تراه..

- اعلمي أنه لا يكترث لأحد حتى أفراد عائلته... عندما ينتهي منك وينال غايته، سيرميك من دون أسف.

بدا وجه لازارو أكثر تجهماً من وجه كاتلين عندما لحق بها إلى السيارة. ولم يتكبد عناء إلقاء التحية عليها بل اكتفى بأن طلب من جيرمي أن ينطلق. وأخيراً، تنازل ونظر إليه ثم سألها: «هل سارت الأمور على ما يرام؟».

- أجل.

والتقت عيناها المغرورقتان بالدمع بعينيه قبل أن تضيف: «ماذا عنك؟».

- لم أتوقع أن تكون الأمور أفضل...

٧ - هل تتحقق الأمنيات؟

اجتازا نقطة التفتيش ومكتب الجمارك من دون تأخير وتمكنا من الصعود إلى الطائرة قبل إقلاعها.

خلال سفرهما من مكان إلى آخر، حاولت كاتلين أن تقنع نفسها بأن النهار الذي كانت بدايته مثالية تمدد لتصبح نهايته جيدة... وأن لازارو سيلتفت حتماً نحوها ويبتسم لها وسيشعر بالرضا. لكن لازارو لم يبذل جهداً ليستغل الوقت، وبالكاد تبادلا كلمات مقتضبة عندما حطت طائرتهما واجتازا مكتب الجمارك من جديد ليخرجا من المطار ويواجها الصباح الشديد البرودة...

كان البرد قارساً جداً.. خرجت أنفاسها من فمها كالغيوم البيضاء، وأحست بأسنانها تصطك بينما هما متوجهين نحو السيارة التي تنتظرهما.

لكن على الرغم من مزاج لازارو السيئ والاضطراب الذي سببته لها مواجهتها مع مالفوليو، لم تتمكن كاتلين من إخفاء ذهولها أمام جمال مدينة روما، بينما السيارة السوداء الفخمة تعبر المدينة الأثرية بسرعة فائقة. أرادت أن تطلب من السائق أن يخفف السرعة قليلاً، لكنها عدلت عن ذلك عندما طالعها مشهد المدرج الروماني..

- إنه حقاً في روما..

تململت كاتلين عند رؤية نظرات التحفظ في عيني لازارو.

- وسطها تماماً...

ألصقت كاتلين أنفها بزجاج السيارة غير آبهة بمزاجه النكد أو مزاجها العكر.. أو بما يحصل... أو بما يمكن أن تؤول إليه الأمور.. فهي الآن في روما.. روما الجميلة.. التي تتميز بجمال حجرها وبشرها على حد سواء... فتحت كاتلين النافذة ضاربة بكلام لازارو عرض الحائط، وأغمضت عينيها لتستمتع بالهواء البارد الذي لفحها.. لكن الأصوات التي تعالت من حولها أرغمتها على فتحهما من جديد.. دراجات نارية صغيرة تشقّ طريقها بطريقة متعرجة بين السيارات المزدحمة.. وسائقون يطلقون الشتائم... لم ترَ كاتلين في حياتها هذا الكم الهائل من الناس...

صرخ لازارو قائلاً: «أقفلي النافذة.. فالبرد شديد..».

- أنت محق!

وضغطت على الزر لتغلق النافذة وتحجب ضجيج الشوارع ثم التفتت نحو لازارو بتحدٍ وقد قررت أن تعبر له عما يدور في خلدها: «أخشى أن الطقس في الخارج أكثر دفئاً من الداخل».

أدركت كاتلين وهي تترجل من السيارة أن ثمة فرق شاسع بين الفنادق.. فبعد أن اجتازت الأبواب الدوارة المطلية باللون الذهبي، وقفت مذهولة أمام جمال البهو الرئيسي لا تعرف ما إذا كان عليها أن تنظر إلى الأعلى أم إلى الأسفل. فقد كانت الأعمدة الرخامية تمتد إلى السقف الرائع ذي القبة العالية الذي تتدلى منه ثريا يوازي حجمها حجم الفناء الخارجي لمنزلها... كانت الأرض المبلّطة باللونين الأبيض والأسود مغطاة بقطع سميكة من السجاد المختار بعناية. وبدا واضحاً أن فندق رينالدي روما هو الجوهرة التي تزين تاج مجموعة رينالدي.

لم تكن كاتلين الضحية الوحيدة لمزاج لازارو العكر... فبعد أن استحمت على عجل وارتدت ملابسها، سمعت طرقاً حاداً على باب غرفتها. ولم تكد تفتح الباب حتى وجدت نفسها في دوامة العمل من

جديد.

التقى لازارو خلال النهار بكافة الموظفين العاملين في الفندق، ووجد العديد من الشوائب بدءاً من الطعام والشراب وصولاً إلى الخدم الذين ارتدوا قمصاناً غير مثنية بطريقة لائقة. راح يتجول في المكان وهو يدرك تماماً أنه الآمر الناهي، مثيراً الرعب في قلوب الجميع.. وعندما استقلت كاتلين أخيراً المصعد لتتوجه إلى غرفتها، أدركت أنها المرة الأولى التي تشعر فيها بهذا القدر من التعب منذ أن بدأت بالعمل مع لازارو. إنما عليها أن تعترف بأن تعبها لم يقتصر على المستوى الجسدي وحسب.. فقسوته في التعامل معها جرحتها في الصميم.

لم يكن الفندق يعتمد نظام البطاقات الممغنطة لفتح الأبواب فاستخدمت كاتلين مفتاحاً قديماً جداً لتفتح الباب وتدخل إلى الغرفة ثم تقفل الباب وراءها على أطول نهار عرفته في حياتها.. راحت عيناها المتعبتان تتنقلان في أنحاء الغرفة: فقد كان التضارب النابض بالحياة بين اللونين الأحمر والذهبي يضفي على الغرفة المزينة بباقات الورود، مسحة مميزة.. وعلى الرغم من أن حجم السرير بدا كبيراً إلا أنه لم يكن كافياً لملء مساحة تلك الغرفة الفسيحة..

لم تتكبد كاتلين عناء تنظيف الزينة عن وجهها، فرمت ملابسها على الأرض ونظفت أسنانها ثم اندست في سريرها محاولة أن تستجمع قواها لتطلب من موظف مكتب الاستقبال أن يوقظها باكراً.

أطلقت تنهيدة عميقة عند سماعها طرقاً خفيفاً على باب غرفتها واختارت أن تتجاهل الأمر وتغمض عينيها.

- كاتلين!

قفزت مجفلة عندما سمعت صوت لازارو الرقيق...

- ما الذي تفعله هنا؟

رفعت أغطية السرير لتغطي نفسها وهي تكاد لا تصدق مدى وقاحته.

- لا تقل لي إنك تملك مفتاحاً لكافة أبواب الغرف في الفندق..

جلس قربها على السرير وأجابها: «لم تقفلي باب غرفتك جيداً.. اسمعي..».

- كلا!

هزت كاتلين رأسها رافضة أن تسمع ما يريد قوله..

- أعلم أنها الساعة السابعة وأعلم أنك حذرتني وقلت لي إنك ستكون شديد الانشغال، ولديك الكثير لتفعله هذا المساء وتريد رؤية العديد من الأشخاص..

- لا أريد رؤية أحد إلا شخص واحد..

- أرجوك.

لم تبذل كاتلين أي جهد لتخفي نبرة التململ في صوتها...

- ألا يمكنك أن تتدبر أمورك من دوني.. لمرة واحدة فقط؟

- هذا ممكن...

ومد يده ليداعب خدها برقة، فأدركت كاتلين على الفور أنه لم يأتِ لرؤيتها بسبب العمل..

- لكنني لن أجد أحداً بجمالك..

أفلتت منها ضحكة عند سماعها جوابه فمال لازارو نحوها ليعانقها لكنها تراجعت إلى الوراء صارخة: «حذار.. عاملتني بازدراء طيلة النهار»...

- لا تنسي أننا كنا نعمل..

وراحت أصابعه تلامس وجهها بشوق ولهفة..

- ليس فقط أثناء العمل.... تجاهلت وجودي..

- أنا لا أتجاهلك الآن...

وهمهم لازارو استنكاراً وهو يضيف: «أرجوك يا كاتلين.. كان هذا النهار أشبه بكابوس لا ينتهي».

إنه هنا الآن.. لقد جاء يبحث عنها لأنه بحاجة إليها وهذا كافٍ لإرضاء غرورها.. أمسك وجهها بيديه وراح يتأملها فتقطعت أنفاسها

غضباً من نفسها وهي تمسك بسترته وتشده إليها..

هل يمكنها أن تفعل ذلك؟ هل يمكنها أن تكون المرأة التي تلهب مشاعره لتتحول إلى مجرد نكرة عندما يحلو له؟

أحست بالدموع تسيل غزيرة على خديها فيما لازارو يعانقها عناقاً محموماً. وأحس بدموعها فرفع رأسها نحوه ليرى وجهها الشاحب، وشعرها المشعث.. فأدرك بأنه ضعيف بقدر ما هو قاسٍ..

ألم يقسم بألا يعود إليها ثانية؟ وها هي الآن بين ذراعيها..

مغفل!

كلا! وتصلب فك لازارو... كان لا يزال يمسك بزمام الأمور، وهو قادر على كشف ألاعيبها... كان قادراً على فضح أكاذيبها في هذه اللحظة بالذات..

وراحت الكلمة نفسها تتردد في رأسه..

أحمق؟؟

ربما كان أحمقاً بعض الشيء لكنه قادر على التحكم بالأمور... ولن يسمح لنفسه بأن ينسى وإن للحظة واحدة بأنه يعيش في جنة كاذبة....

أفكاره هذه جعلته يتراجع ويبتعد عنها، فهي في نهاية الأمر ابنة خالة روكسان، المرأة التي يكنّ لها كراهية بلا حدود. لا، لن يقع في الشرك الذي وقع فيه لوك، في شرك العينين الزرقاوين. وهب واقفاً واتجه نحو الباب من دون أن يرمقها بنظرة.

رماها لازارو بابتسامة جافة بينما كانا يجلسان في قاعة الطعام، وقال لها وهو يرسل طبقه إلى الطاهي للمرة الثانية معرباً عن تذمره: «في سبيل احتلال المراتب الأولى، عليك أن تقدمي الأفضل في كل مرة».

أجابته بتحدٍ: «كان غدائي ممتازاً».

ولم تكن تكذب في ذلك.

كانت كاتلين منهمكة في تسجيل الملاحظات منذ الساعة الثامنة

صباحاً، وأحست بصداع حاد عندما أمطرها لازارو بالنتائج التي توصل إليها.. أحست بالارتياح الشديد عندما أحضروا لهما الغداء.. كانت قاعة الطعام في فندق رينالدي روما أشبه بقطعة من الجنة.. فقد كان الخدم يجرون عربة بعجلات، وقد وضع عليها ما لذ وطاب من الأطباق، وعصير الفاكهة والقهوة التي يمكن أن تساعدها على التخلص من ألم الرأس... وعلى الرغم من هذا كله، وجد ما يشكو منه.

قضمت كاتلين قطعة من الحلوى، وقالت له: «إنها رائعة».

- وكأنك تعرفين أكثر مني...

إنّ كلامه لاذع في بعض الأحيان! لكنها لم تجبه بل انتقلت إلى موضوع آخر وسألت: «سنشارك هذا المساء في حفل السيد مانسيني، أليس كذلك؟».

- هذا صحيح.. عليك أن تستعدي لهذا المساء.. فشعرك..

ورماها بنظرة فضولية جعلت خديها يتوهجان...

- لم أغسله هذا الصباح لأنني أنوي أن أعقصه خلال الحفل... وإذا غسلت شعري الآن، فلن أتمكن من ربطه..

- أشكرك على هذه المعلومة..

وظهر طيف ابتسامة على ثغره وهو يضيف: «كنت أنوي أن أقول لك إنك ستلفتين الأنظار هذا المساء.. إذ لا نرى الكثير من الشقراوات في روما».

كانت واثقة تمام الثقة من أنه أراد أن يقول كلاماً آخر، غير أنه ارتأى أن يصون لسانه لئلا تشهر سلاحها في وجهه..

- اخترت أحد الفساتين التي أرسلتها لي... لا تقلق.. لن أخذلك.. حسناً، ماذا سنفعل خلال الساعات المتبقية من النهار؟

- قلت لك.. عليك أن تهتمي بتصفيف شعرك وتبرجك..

- إنها الساعة الواحدة من بعد الظهر. لا أحتاج إلى ست ساعات للاستعداد للحفل!

قطب لازارو جبينه وقال: «لكن حاجبيك يحتاجان إلى تهذيب أيضاً».

- عفواً؟

أثارت ملاحظته الفظة غيظها فعلت الحمرة خديها.

- كم أنت فظ!

- ستتعرفين هذا المساء إلى أكثر الناس ثراءً وجمالاً في روما.. لهذا السبب، أنصحك بأن تبدئي بالاستعداد منذ الآن.. أردت فقط أن أنبهك إلى الأمر..

- لا تفعل!

أحست كاتلين بالغثيان وتمنت لو تتقيأ الطعام الذي تناولته. لم تكن هذه المرة الأولى التي تتساءل فيها عن مدى استعدادها لتحمل هذا كله.. وبقي عزاؤها الوحيد أن النظارات الوردية اللون التي أغشت بصرها طوال السنوات الماضية، أصبحت أكثر وضوحاً.

حدقت فيه متمنية في سرها لو أنه ليس مثالياً إلى هذا الحد، محاولة أن تجد عيباً فيه.... وعندما باءت محاولاتها كلها بالفشل، قررت أن تتصرف بحماقة وتختلق واحداً..

- ثمة شيء على أسنانك...

- هذا غير صحيح.

- بلى.. إنها حبة بازيلاء كبيرة في هذه البقعة بالذات..

ووضعت إصبعها على أسنانها مضيفة: «لا أريدك أن تشعر بالحرج وأنت تسيء معاملة موظفي الفندق».

انفجر لازارو ضاحكاً بصوت عالٍ رافضاً القيام بأي جهد للتأكد من كلامها ما أثار انزعاجها وارتياحها في آن معاً لأن أسنانه نظيفة تماماً... وعلى الرغم من محاولاتها لضبط نفسها، انفجرت ضاحكة بدورها.

- هل زالت؟

ظهرت على ثغره تلك الابتسامة الكسولة التي تشعل نيران اللهفة في داخلها وتجعلها تلين مع أنها أقسمت على ألا تفعل.

- أجل!

ردت كاتلين بالايجاب لأن المقصود لم يكن ذلك الشيء الوهمي على أسنانه بل الغيمة السوداء التي خيمت عليهما منذ الصباح.. وأحست بالانتشاء تحت تأثير ابتسامته الساحرة...

- اذهبي..

كانت نبرة صوته غاية في الرقة وأحست بأن نظراته تحذّرها بأن تغادر المكان قبل أن يعود إلى المشاكسة من جديد.

- أتمنى لك أن تستمتعي بالساعات المتبقية من النهار..

ليتها حملت في تلك اللحظة حقيبة يدها وتوجهت إلى جناحها! لكن لازارو كان يعاملها بلطف لم تعرف له مثيل وينظر إليها بطريقة سمّرتها مكانها...

- لازارو!

أجفلت كاتلين عند سماعها ذلك الصوت المألوف ولم تجد أمامها سبيلاً سوى أن تمكث مكانها فيما نهض لازارو من مكانه وأخذ تلك المرأة الفاتنة بين ذراعيه، وقبلها على الطريقة الايطالية. لكن كاتلين لمست في عناقه لها شيئاً من الحنان والعطف لم تشعر به من قبل، خاصة في تعامله معها.

- بونيتا.. أقدم لك مساعدتي الشخصية الجديدة، كاتلين بيل.. كاتلين.. هذه بونيتا مانسيني...

وابتسم لكاتلين فجأة وأضاف: «يا لغبائي! لا بد أنكما التقيتما من قبل».

- التقينا من قبل؟

قطبت كاتلين جبينها وحذت بونيتا حذوها...

- أظن أننا تحدثنا على الهاتف، أليس كذلك؟

- هذا صحيح.

أومأت كاتلين برأسها والتفتت نحو لازارو مردفة: «لم نلتقِ قط من قبل».

- لكن لا بد أنكما التقيتما أثناء المقابلة التي أجريتها لمنصب مسؤولة العلاقات العامة؟

ظهر وميض خطير في عيني لازارو على الرغم من أنه بقي يبتسم وتابع كلامه: «آسف يا كاتلين.. أظن أنني لم أعرفك عليها كما ينبغي، فبونيتا ليست زوجة ألبيرتو مانسيني وحسب بل المسؤولة عن قسم العلاقات العامة أيضاً.. عند استلامها هذه الوظيفة، تعرفت إلى البيرتو وتزوجته».

- ولم أتخلَ يوماً عن وظيفتي..

وضحكت ضحكة خافتة قبل أن تلتفت نحوها قائلة: «تقولين إنك أجريت مقابلة..».

وتلاشت الكلمات وهي تحاول أن تتذكر كاتلين..

- لا بد أنها خضعت للمقابلة في سلسلة أخرى من الفنادق..

كان لازارو من خرق الصمت المرعب الذي خيم...

- الذنب ذنبي...

وعلى الرغم من أنه خرق الصمت المطبق، إلا أنه لم يتمكّن من محو الإرباك الذي حصل.. فالكل يعلم تماماً أنه لا يرتكب الأخطاء لاسيما في ما يتعلق بشؤون عمله.

- من الأفضل أن أنصرف..

غادرت كاتلين المكان مترنحة وهي تكاد لا تصدق أن بونيتا هي بونيتا مانسيني... وحين التفتت نحوهما للمرة الأخيرة، رأته يحيط كتفيها بذراعه فيما أراحت المرأة رأسها على صدره كتعبير عن مدى شوقها إليه.

٨ - امرأة جديدة

عندما رأت كاتلين صورتها المنعكسة في المرآة، صاحت: «مدهش».

لا مكان للاستخفاف بالذات هذا المساء.. لن تجد فرصة أفضل من هذا المساء لتزيل كافة العقبات التي تمنعها من مواجهة لازارو ولتثبت لنفسها أنها امرأة فاتنة وساحرة..

أقرت كاتلين في سرها ببراعة مصفف الشعر. وكانت قد عقدت العزم على أن تعقصه إلى الوراء على الطريقة الفرنسية، لكنها وجدت نفسها تذعن وللمرة الأولى في حياتها، لرأي مصفف الشعر..

بدلاً من الاكتفاء بتسريحة بسيطة، قررت أن تستغل الجمال الطبيعي الذي أنعم الله عليها به وتجعد خصلات شعرها الأشقر الطويل..

نظرت كاتلين إلى وجهها المحاط بخصلات شعرها المجعد التي انسدلت بخفة على كتفيها، وكادت ألا تتعرف على عينيها اللتين حظيتا بعناية فائقة من أخصائي التجميل.

اختارت كاتلين للمناسبة فستاناً أسود مطرزاً بعدد لا يحصى من الحبيبات الزجاجية السوداء المصنوعة يدوياً، ويتميّز بياقة عريضة. منذ اللحظة الأولى التي ارتدت فيها الثوب وهي تتحرق شوقاً كي تسأله ما إذا اشتراه خصيصاً لها أو ما إذا كان عليها أن تعيده في الصباح.

المهم هو أنه لها هذا المساء!

إنها تتحلى الليلة بما يكفي من الثقة بالنفس لتواجه لازارو، ثقة تجعل منها امرأة قادرة على أن تتخلى عن رجل أحلامها من دون أسف.

لطالما كانت واثقة من أنه سيعود إلى ما كان عليه!

كانت واثقة من أن الرجل الساخر الذي أضناه الحزن، سيعود إلى ما كان عليه يوم التقته للمرة الأولى. كانت تدرك في أعماق قلبها أن الرجل الذي وقعت في هواه لا يزال قابعاً في مكان ما داخله..

لكنها لم تجده!

اغرورقت عيناها بالدموع وهي تقفل باب قلبها أمام الرجل الذي عشقته طوال حياتها.. رجل يطعن صديقه في ظهره... لم تتوقف كاتلين عن التفكير في ما حصل طوال فترة انشغالها بالتبرج والتأنق لتصبح بالمستوى المطلوب لترافق لازارو رينالدي إلى حفل عيد ميلاد صديقه الحميم.. ذلك الصديق الذي كانت زوجته على علاقة به..

- هل أنت جاهزة؟

ألقى عليها التحية ببرودة فائقة، غير أن كاتلين لم تأبه للأمر لأنها ليست على استعداد لتبادل الأحاديث المقتضبة. وشغلت نفسها بوضع أحمر الشفاه وعلبه البودرة ومفتاح غرفتها في حقيبتها الصغيرة ما ساعدها لتستعيد هدوءها لأنها لم تكن مهيأة لرؤيته على الرغم من الجهود التي بذلتها لتتقن دورها هذه الليلة إذ بدا وسيماً إلى حد يقطع الأنفاس بشعره الأسود، وبذلته الرسمية التي تبرز كتفيه العريضتين.

قطب لازارو جبينه وسألها: «أهذا كل ما ستأخذينه معك؟ أظنك تعلمين أننا سنمضي الليلة هناك؟».

- هناك؟

- في فندق مانسيني...

لم تكن كاتلين على علم بالأمر لكنها وجدت المسألة بديهية بعد أن أعادت التفكير فيها؛ فرجل يملك ثروة طائلة مثل ألبيرتو مانسيني، سيحرص حتماً على أن يؤمن لضيوفه كافة وسائل الراحة.

- لم أستطع أن أرفض دعوته...

هز لازارو كتفيه بلامبالاة بينما سارعت كاتلين إلى توضيب ما يلزم لتلك الليلة.

- مع أنني واثق من أن فندقي أفضل بكثير..

سألته كاتلين عندما استقلا المصعد: «كيف كانت فترة بعد الظهر؟».

أجابها باقتضاب من دون أن يلتفت نحوها: «كانت طويلة جداً...».

حبس لازارو أنفاسه محاولاً ألا يشم رائحة عطرها المسكرة. لطالما أدرك أنها امرأة فاتنة؛ وكان يكفي أن يؤمن لها الملابس المناسبة، ووسائل التبرج لتنافس أكثر النساء جمالاً في الحفل. إنما بعد ما عرفه عنها اليوم، لن ينجح جمالها الفائق في إذابة طبقة الجليد التي أحاط نفسه بها...

خرج من المصعد مسرعاً وعبر البهو الرئيسي متوجهاً نحو السيارة التي تنتظرهما في الخارج فوجدت كاتلين نفسها مرغمة على اللحاق به على عجل حيث سلّمت السائق حقيبتها، ولزمت الصمت التام بينما السيارة تنهب شوارع روما نهباً.

لن يدع سحرها يؤثر فيه هذا المساء... عليه أن يتمسك بالحقيقة التي باتت واضحة وضوح الشمس، على الرغم من محاولاتها الحثيثة لتمويهها.. كم من مرة راودته نفسه أن يثق بها، ويتناسى كل ما عرفه عنها ليكتفي بصفاتها الحسنة... كانت تسحره تماماً كما سحرت روكسان لوكا... ويكفي أن ترمقه بنظرة من عينيها لينسى الدنيا وما فيها..

حسناً، لن يحصل ذلك ثانية!

عليه أن يواجهها هذا المساء مهما كلف الثمن!

- لازارو!

كان البيرتو مانسيني ضيف الشرف في حفلته، إنما بدا واضحاً أن

لازارو لا يقل عنه أهمية إذ سارع مضيفهما إلى الاعتذار من الأشخاص الذين كانوا يحيطون به وشق طريقه نحوهما مرحباً بصديقه بالايطالية. وسرعان ما انتقل إلى الحديث باللغة الانكليزية عندما قدم له لازارو كاتلين.

- حسناً، أنت مساعدة لازارو الشخصية الجديدة.. تهانينا! لا شك عندي في أننا سنلتقي كثيراً.

أجابته كاتلين بنبرة مهذبة: «تشرفت بمعرفتك».

- اسمحي لي أن أقول لك إنك تبدين في غاية الجمال؟ فنظرات الإعجاب تلاحقك منذ دخولك القاعة.

أرادت كاتلين أن تختلس النظر إلى لازارو غير أنها اكتفت بتقديم الشكر بصوت خفيض.

وعاد البيرتو يقول بنبرة مرحة: «أقدم لك زوجتي بونيت..».

ووضع ذراعه حول خصرها مضيفاً: «وهي تبدو رائعة الجمال أيضاً.. لكن هذا بديهي يا عزيزتي».

وأردف محاولاً أن يغيظها: «لاسيما وأنك أمضيت النهار كله في صالون التجميل... بونيتا، أقدم لك كاتلين، مساعدة لازارو الشخصية الجديدة..».

لم تفتها النظرات الحادة القلقة في عينيّ بونيتا، وأكد لها ردها المهذب والقبلة الباردة التي طبعتها على خدها أن البيرتو يجهل تماماً ما كانت زوجته تفعله بعد ظهر اليوم.

وما أن استأذن ألبيرتو ليتمكّن من الاهتمام بضيوفه الآخرين حتى سقطت كافة أقنعة التهذيب فتأبطت بونيتا ذراع لازارو وقادته بعيداً تاركة كاتلين وحدها وسط هذا الحشد من الناس. راحت كاتلين ترتشف شرابها، وتشارك في بعض الأحاديث المقتضبة، وقد أحست بقلبها ينفطر حزناً بين ضلوعها.

ففي تلك القاعة التي تعج بالناس، بدا لازارو الأكثر تألقاً إذ وقف

مستقيماً فيما حامت النساء الجميلات من حوله.. راحت تراقبه وهو يراقصهنّ، الواحدة تلو الأخرى، مستمتعاً برؤيتهنّ يتحرقنّ شوقاً ليحظينّ بابتسامة منه أو رقصة. وانضم إليه البيرتو مانسيني وراحا يتبادلان الأحاديث ويضحكان ما أثار اشمئزاز كاتلين.

- إنه رجل جذاب..

وقفت بونيتا قربها وقد شارفت تلك الأمسية المزعجة على نهايتها: «أقصد رب عملك...».

- وزوجك أيضاً.

أحست كاتلين بتصلب في ظهرها، وأحكمت قبضتها على الكأس التي تحملها..

- هذا صحيح...

أثارت نبرة الحنان في صوت بونيتا حيرة كاتلين.

- يظن الكثيرون، بمن فيهم أفراد عائلتي، أنني أسعى وراء ثروته لكن لا احد منهم يملك أدنى فكرة عن المشاعر التي يثيرها في داخلي.

- ما هي المشاعر التي يثيرها في داخلك؟

- عندما أكون مع ألبيرتو، أشعر بأن عالمي في أمان.

أرادت كاتلين أن تصرخ في وجهها «وما الذي تفعلينه إذن بحق السماء؟». إلا أنها لم تفعل، وشعرت بمزيد من التوتر عندما التقت عيناها بعيني لازارو.. كانت اللهفة والاشمئزاز يتنازعان جسدها حين رأيته يستأذن ويتوجه نحوها.

قالت له بونيتا مبتسمة: «كنا نتحدث عنك يا لازارو».

أجابها متشدقاً: «بالخير، على ما أرجو».

لكن التجهّم علا وجهه وهو يضيف: «أظن أن البيرتو لم يعد قادراً على البقاء لوقت أطول».

- معك حق.. هلا..

أومأ لازارو برأسه قائلاً:

- لا تقلقي.. إنه يودع ضيوفه، وسأرافقه إلى غرفته.

بدا مستغرقاً في التفكير عندما التفت نحو كاتلين مردفاً: «آسف لأنني تركتك وحدك..».

- لست رفيقتك يا لازارو.. إننا هنا في مهمة خاصة بالعمل..

- لا بأس إذن إن دعوت مساعدتي الشخصية للرقص عند عودتي..

عندما دعاها أخيراً للرقص انتفض ذلك القلب الذي كان يفترض به ألا يتأثر أبداً...

أمسك لازارو بها وقادها إلى حلبة الرقص، لكنه حرص على الحفاظ على مسافة كبيرة بينهما، كدليل على أنه يراقصها بصفته رب عملها. إلا أنهما وجدا صعوبة فائقة في غض النظر عن تلك الطاقة التي تسري بينهما... كانت خصلات شعرها تلامس خده بين الفينة والفينة فتعبق رائحة عطرها في أنفه، ما زاد من حدة الارتباك بينهما.. أراد أن يدفن وجهه في شعرها، ويجذب جسدها إليه، لكنه استعاض عن ذلك بالكلام فقال لها هامساً: «أشكرك لأنك لم تتفوهي بكلمة أمام البيرتو بشأن ما حصل بعد ظهر اليوم».

- لا تشكرني...

كانت يداه تحيطان بخصرها، وجسداهما متقاربين بما يكفي ليوحيا للآخرين بأنهما يشعران بالارتياح التام على الرغم من أنهما بالكاد يتلامسان. لكنها كانت تتوق بشدة إلى أن تلغي هذه المسافة التي تفصل بينهما، وتريح رأسها على صدره.

- لا تجعلني شريكة في الأمر.

- شريكة في الأمر؟ لم أفهم.

كان يدّعي أحياناً أن لغته ضعيفة ويطلب من كاتلين أن تترجم له ما تقصده لكنها أدركت هذه المرة أنه يسعى إلى كسب الوقت فقط.

رفعت عينيها نحوه وقالت: «إياك أن تزجني في مواقف مماثلة مرة أخرى. أنا مستعدة للكذب على صديقاتك إنما ليس على أزواجهنّ».

- لم أطلب منك أن تكذبي..

- أكان يفترض بي أن أخبره بأنني التقيت بونيتا من قبل؟

راحت كلماتها تصفر في أذنيه وهي تردف: «أكان يفترض بي أن أقول له إن جمال زوجته وإشراق وجهها وبريق عينيها ليست ثمرة الساعات التي أمضتها في صالون التجميل بل ثمرة الساعات التي أمضتها برفقتك؟».

وتوقفت فجأة عن الكلام بعد أن أحست بقبضته تشتد على خصرها.

- كيف تجرؤين على الحكم علي إنطلاقاً من معاييرك الخاصة؟

- لدي على الأقل بعض المعايير.

لم يبذلا أي جهد للتظاهر بأنهما يرقصان بل وقفا وسط الحلبة يتبادلان الاتهامات الصامتة...

وتوقفت الموسيقى وعلا التصفيق في القاعة فأحاطها لازارو بذراعه وقادها بعيداً نحو طاولة معزولة.

لكن هل يمكن أن ينعم المرء بشيء من العزلة وهو برفقة لازارو رينالدي؟ فلم تكد تمضي ثوانٍ قليلة حتى ظهر أحد الخدم حاملاً معه شراباً، فطلب منه لازارو أن يتركهما على انفراد.

سألها لازارو ساخراً وقد حرص على أن يتابع الحديث من النقطة التي توقف عندها: «عن أي معايير تتحدثين؟ لا أحد سواك منافق..».

- أنا؟

- تأكدت من الأمر بنفسي. كذبت علي حين قلت إنك أجريت مقابلة في سلسلة فنادق مانسيني..

راح يحدق فيها وقد غزت موجة الاحمرار وجهها، وأحكمت قبضتها على كأسها، فلم يقوَ على كبح ابتسامة الانتصار التي ظهرت على ثغره. كانت كاتلين من يحاول الآن كسب الوقت..

- لقد اختلقت قصة المقابلة الأولى..

- نعم.

شعرت كاتلين بالارتياح لأنها وجدت ما تفعله بأصابعها التي راحت تعبث بالكأس بقلق.

- لا أظنك فكرت يوماً في إرسال سيرتك الذاتية، أليس كذلك؟

- لمَ تتكبد عناء السؤال بعد أن قمت بكافة التحريات اللازمة؟

- طبعاً.. هل كنت تخالين أنني لن أفعل؟ هل توقعت مني أن أثق بك على الفور؟ هل خيل إليك أنني قد أنسى اسم الفندق؟

- يفاجئني كثيراً أن تكون قد وجدت الوقت الكافي للتفكير في مساعدتك الشخصية وأنت برفقة بونيتا.. يفاجئني أن أكون قد شغلت تفكيرك لبعض الوقت..

- لن أبرر تصرفاتي أمامك...

ورفع لازارو كتفه بطريقة غريبة ووقحة، ثم عاد وانزله..

- إنما يبدو جلياً أنك نسيت كلياً أنني رب عملك وأنك تدينين لي بتفسير..حسناً، لمَ كذبت؟

وفجأة، مال نحوها بغضب وكأنه نسي مؤقتاً السؤال الذي طرحه عليها وقال:

- البيرتو مانسيني صديقي... كيف تجرؤين على إهانتي وإهانة بونيتا، وأنت لا تدركين حقيقة ما يجري؟

- أخبرني الحقيقة إذن.. ماذا يفترض بي أن أفكر يا لازارو؟ فهي تتصل بك كل خمس دقائق تقريباً، وجاءت لزيارتك في جناحك من دون علم زوجها.

- ولمَ يفترض بي أن أخبرك؟ أنا لا أثق بك.. هيا..قولي لي لما كذبت علي..

- عندما كذبت عليك، لم أكن أدرك أنني أجري مقابلة من أجل وظيفة جديدة...بل كنت أسعى لترك وظيفتي وليس التحايل عليك للحصول على وظيفة أخرى...

- قلت إنك قدّمت طلباً للعمل في مكان آخر...

وضعت كاتلين كأسها على الطاولة وهبت واقفة إذ لم تعد قادرة على احتمال هذا النوع من الاستجواب أو استرجاع الأحداث المريعة التي وقعت في ذلك اليوم المشؤوم.

- كنت ممتناً للغاية عندما كذبت عليك.. كنت ممتناً لأنك لم تشأ أن تخبر أختك الحبيبة عن تصرفات الرجل الذي تزوجته... كنت ممتناً لأنك وجدت الطريقة الأنسب لتضمد جرحاً بليغاً بدلاً من معالجته.

- لم أطلب منك أن تكذبي! قلت لك إنني أريد معرفة الحقيقة!

- ربما..!

التفتت الرؤوس كلها نحوهما فالشعب الايطالي معروف بافتقاره إلى التحفظ، غير أن كاتلين لم تكترث للأمر أبداً.

- لكن أرجو منك ألا تدعي أنك لم تتنفس الصعداء وإن لبعض الوقت، لأنك لن تضطر إلى مواجهة الموضوع تماماً كما ترفض مواجهة مشكلة أخيك.

وماتت الكلمات فجأة على شفتيها كما لو أنّ أحدهم نزع قابس الكهرباء على حين غرة.

- هيا... قولي ما لديك..

- لا أريد ذلك..

تلعثمت كاتلين وقد استولى عليها الرعب بعد ما تفوهت به وما آل إليه هذا الجدال. إنما بدا جلياً أن لازارو لا ينوي التوقف عند هذا الحد.

- ما الذي أرفض مواجهته؟

- لا يا لازارو.

تجاهل لازارو كلامها وتابع بنبرة ساخرة: «يبدو جلياً أنك تحتفظين برأيك عني لنفسك لكنني أرغب في سماعه».

لم يعد من الممكن الادعاء بأن تلك الأمسية ستنتهي بطريقة لبقة..

- علي أن أذهب..

وقفت كاتلين وهي ترتجف ثم مدت يدها لتأخذ حقيبة يدها، فأمسك لازارو برسغها وسألها: «لمَ تريدين الرحيل الآن بعد أن أصبح الحديث مثيراً للاهتمام؟».

- أريد الخلود إلى النوم.

حررت يدها من قبضته فتركها تفعل. واستدارت على عقبيها، وحاولت جاهدة أن تجر رجليها المرتجفتين لتغادر القاعة، وهي تدرك تماماً أنه يلحق بها.

ضلت كاتلين طريقها لبرهة فبهو فندق مانسيني ليس مألوفاً لديها، لكن ما إن رأت المصاعد أمامها حتى أسرعت نحوها وهي تدرك أن ليلتها ما زالت في بدايتها. أغمضت كاتلين عينيها عندما لحق بها إلى المصعد. كان جسدها ينبض بالغضب، وعقلها يسير وسط متاهة..

رافقها إلى باب غرفتها واستند إلى الحائط من دون أن يتفوه بكلمة. كانت كاتلين واثقة كل الثقة من أنه لن يدعها تخلد إلى النوم بهذه البساطة.

- ماذا؟

علت ابتسامة مخادعة ثغره بينما هو يضع قدمه عند عتبة الباب ليمنعها من إغلاقه وراءها.

- ألن تطلبي مني الدخول لشرب فنجان من القهوة؟

أومأت كاتلين برأسها. لم تكن خائفة منه، ولكنها خشيت أن تكون قد اختارت المكان غير المناسب لتعيد فتح جراح الماضي. تراجعت قليلاً إلى الوراء ليتمكن من الدخول.. لم يحاول لازارو إسكاتها، أو مقاطعتها... بل لحق بها إلى غرفتها لمواجهته...

وقفت كاتلين مكانها ترتجف من شدة القلق فيما سألها: «كنت تقولين؟».

- أخوك..

أدركت في نهاية المطاف ما ينبغي عليها أن تقوله، فأخذت نفساً

عميقاً وقررت أن تنظر إليه وتتفوه بالاسم الذي يحظر على الجميع التلفّظ به..

- لوكا...

حاول لازارو التهرب من الموضوع قائلاً: «علي أن أتعامل مع موت لوكا في كل يوم من حياتي».

قاطعته كاتلين: «في كل دقيقة وكل ساعة وكل يوم. أعلم أنك تشعر بالسوء..».

- هل تعرفين هذا الإحساس.؟؟

- فقدت جدي منذ ستة أشهر...

- هل تقارنين موت شاب في مقتبل العمر ب...

قاطعته كاتلين صارخة: «كلا... لكنني أعرف معنى أن تفقد أحدهم.. وأعرف معنى أن تحب أحدهم وتحزن لموته.. لكنني أعرف أيضاً معنى السلام الداخلي يا لازارو... ذلك السلام الذي تفتقده منذ أكثر من سنتين...».

وتوقفت قليلاً عن الكلام ثم اردفت بنبرة أكثر رقة: «علمت أنكما تشاجرتما قبل وفاته... قرأت الخبر في الصحف وأخبرتني أنتونيا أن ما حصل كان بغيضاً. لكن الكل يدرك أن تصرفات لوكا تجاوزت حدود المعقول وكان لا بد لأحدهم أن يعيده إلى رشده... لا أفهم.. فكيف سمحت له بأن يضربك؟ كيف..؟».

- كفى!

لم تغب عنها نبرة التحذير في صوته وإمارات الغضب التي ظهرت على وجهه.. غير أن غضبه لم يكن موجهاً ضدها، بل ضد ذاته. كانت الأسابيع القليلة الماضية أشبه بكابوس بالنسبة إليه، إذ أدرك أن عائلته ستجتمع من جديد، وسيعود اسم لوكا ليتردد على كل الشفاه. كان الأمر أشبه بالعيش في جحيم مهما حاول أن يتفادى ذلك.. وها هي الآن تقف أمامه، تتحدث إليه بنبرة تدل على مدى تعاطفها معه فيما تكاد

www.elromancia.com

عيناها أن تبلغا عمق أعماقه. . . كان من السهل عليه أن يطرد الشك من رأسه، ويقنع نفسه بأنها مختلفة فيفضي إليها بمكنونات قلبه.

وكم كان بحاجة إلى من يفضي إليه بمكنونات قلبه! لكن تحذير مالفوليو بقي يتردد في أذنيه كالناقوس فيما العينان الزرقاوان الشبيهتان بعيني روكسان تحدقان فيه، تماماً كما كانتا تحدقان فيه في ذلك اليوم المشؤوم.

- لا ينبغي أن تبقى الأمور على حالها يا لازارو. .

- كيف يفترض بها أن تكون؟

- لست أدري. .

- هذا صحيح. . لا تدرين. . لا تدرين. . . لذا، لا تتهميني بالعجز عن التعامل مع الأمور وأنت لا تملكين أدنى فكرة عما حصل في ذلك النهار.

- أخبرني إذن.

- لماذا؟

- لأنني أريد أن أعرف.

- لماذا؟

- لأن. . .

كانت كاتلين تشعر بالارتعاش والضغط في داخلها. ولم تشأ أن تعبر عما في داخلها لكنها وجدت في الوقت عينه، صعوبة في الاحتفاظ به لنفسها، فأغمضت عينيها وتركت البركان المتأجج في داخلها ينفث حممه: «لأنني أهتم لأمرك يا لازارو. . ويؤسفني ألا ترغب في سماع هذا الكلام، أو أن يثير كلامي ارتباكك. . آسفة لأنه يفترض بي ألا أظهر أيّ مشاعر، ولأن وجودي غير مرحب به إلا لتأدية الخدمات المطلوبة مني، لكنني أهتم لأمرك. . .».

- ماذا؟ أتريدين مني أن افتح قلبي لك؟

وضحك ضحكة ساخرة وأضاف: «لتتمكني من ابتزازي لاحقاً؟».

- ولمَ تظن أني قد ابتزك لاحقاً؟

- لأنك تناقضين نفسك. .

وجد لازارو أنه من الأفضل أن يحافظ على مسافة بينهما لئلا ينقاد وراء إغراءاتها. .

- تارة تقولين إنني أكثر الرجال خساسة في العالم لأنني أعاشر زوجة صديقي. . وطوراً تدّعين أنك تهتمين لأمري. . كيف هذا؟ كيف يعقل أن تهتمي لأمر رجل تحتقرينه؟

أجابته كاتلين هامسة: «لست أدري. . لكنني واثقة من شعوري».

ساد صمت عميق بينهما فاستغل لازارو الأمر ليقوّمها بعينيه فيما عقله يتوسل إليه أن يتحلى بالمنطق. إلا أنه لم يشأ ذلك. .

لم يشأ ذلك حقاً. .

أرادها أن تهتم لأمره لأنه يهتم لأمرها.

- اسمعي يا كاتلين. . . أنا لست على علاقة ببونيتا. . . ولا يمكن أن أفعل ذلك أبداً. . أريد منك أن تصدقي كلامي.

- بونيتا ليست المشكلة. . .

مسحت كاتلين الدموع السوداء الغزيرة التي سالت على خديها، وشكرته بصدق عندما أخذ منديلاً ورقياً وناولها إياه.

- لم أعد قادرة على احتمال المزيد يا لازارو. . تعاملني مرة ببرودة ومرة بلهفة. . لا أدري لما تختار أن تكرهني في بعض الأحيان. .

- اسمعي. . هل يمكننا أن نبدأ من جديد؟ هل يمكننا أن ننسى كل ما حصل ونبدأ من جديد؟

- هل هذا ممكن؟

لم تكن كاتلين واثقة من ذلك.

أومأ لازارو برأسه وأجاب:

- لا أرى أي سبب يحول دون ذلك.

- ألن تكرهني في الصباح؟

أجابها لازارو ببطء: «لم أكرهك يوماً.. كيف يعقل أن أكرهك وكل شبر في جسدي يتوق إليك؟».

لم يكن هذا كافياً... كانت تدرك أن هذا ليس كافياً، لكنها لم تشأ أن تطرح عليه المزيد من الأسئلة الآن بعد أن أحاط كتفيها بذراعه وأسند رأسها إلى صدره. وأحست كاتلين بالأرض تهتز تحت قدميها عندما ضمها إليه بقوة. مدت أصابعها بجرأة ولامست الندبة البارزة على خده فأغمض لازارو عينيه بشدة وكأنه يُحضّر نفسه للألم الذي قد تسببه لمستها، وكأن الجرح لا يزال ينزف.. فأدركت كاتلين على الفور أنه ما زال ينزف فعلاً..

- ماذا حصل هنا؟

أحكمت أصابعه قبضتها على أصابعها وأطبقت عليها. كانت كاتلين واثقة من أنه يريد أن يبعد يدها، ولامت نفسها في سرها لأنها تسرعت في طرح هذا السؤال عليه. لكن وبدلاً من أن يبعدها عنه، فتح راحة يدها وراح يضغط بها على خده فأحست بأن وجعه وجعها وراحته راحتها.

لكنه ما لبث أن أبعدها عنه برقة، وأشاح بنظره بعيداً عنها فيما هي تعيد طرح السؤال نفسه عليه.

- ما الذي حصل في ذلك اليوم يا لازارو؟

على الرغم من أنها طرحت السؤال، وظنت نفسها قادرة على مواجهة العواقب، إلا أنّ نبرة صوته أنبأتها بأنها قد لا تتمكن من ذلك. فالألم والحزن اللذان لمستهما في صوته جعلاها تجفل، وأغمضت عينيها بينما هو يدفعها برقة وحنان قائلاً: «اسألي ابنة خالتك».

لم تنبس كاتلين بأيّ كلمة بل اكتفت في التحديق فيه وهو يقف ويغادر الغرفة من دون أن يشرح لها معنى كلماته هذه.

سألهما البيرتو مانسيني وهو يبتسم بابتهاج:

- كيف كانت ليلتكما؟

انضم صديقه الحميم إليهما على الفطور حيث ساد جو من الاسترخاء.

- هل كانت مريحة؟

أجابه لازارو ممازحاً: «كان السرير قاسياً بعض الشيء.. لكن لا بأس به بالنسبة إلى فندق من الدرجة الثانية».

- أرجوك... اسمعا، علي أن أتحدث إلى الوزير وزوجته الجميلة، لكن هل تسمحين لي بأن أستعير رب عملك قبل أن ألقي خطابي؟

- بكل سرور..

أحست كاتلين بغصة في حلقها عندما رأت بونيتا تحتل مقعد لازارو الفارغ.

قالت لها: «أشكرك على تحفظك ليلة أمس.. من حسن الحظ أن الحفل انتهى على خير.. والفضل يعود للازارو وحده... أعلم أنه معتاد على إخبار مساعدته الشخصية بكل شيء..».

- ليس هذه المرة...

ولم تكد كاتلين تبدأ الكلام حتى علا صوت ألبيرتو عبر المذياع مرحباً بضيوفه وشاكراً حضورهم. لكنه ما لبث أن سلم المذياع للازارو ليتكلم بالنيابة عنه ما ترك كاتلين في حيرة من أمرها. أثار كلامه ضحك الجميع باستثناء بونيتا التي مدت يدها الباردة تبحث عن يد كاتلين قائلة بصوت مختنق: «من حسن الحظ أن لازارو موجود معنا اليوم فألبيرتو ينسى الأسماء، وينسى بعض العبارات.. لم أشأ أن يخاله الناس أحمق أو ثملاً.. لهذا السبب، طلبت من لازارو أن يبقى بجانبه، ويسد الثغرات في ذاكرته...».

ومسحت الدموع المنهمرة على خدها ثم لاحظت تعابير الذهول على وجه كاتلين: «ألست على علم بالأمر؟ ألم يخبرك لازارو؟».

- ظننت...

غمرتها موجة من الحزن الساحق جعلتها تجفل لكن بونيتا انفجرت

www.liromancia.com

ضاحكة وقالت لها: «ما الذي خيل إليك؟ لم يمضِ وقت طويل على استلامك منصبك الجديد ولا أظنك تعرفين هذا الرجل جيداً بعد».

لكنها بدأت تتعرف عليه.

- البيرتو مريض..

مدت يدها من جديد لتمسك بيد كاتلين وتابعت: «عليه أن يخضع للعلاج في أقرب فرصة ممكنة.. لكننا فضّلنا أن نتريث ريثما ينتهي حفل زواج ابنته بعد أسبوعين.. جلّ ما نرجوه من الله هو أن يمهلنا أسبوعين بعد».

بدا صوتها أكثر خشونة وهي تضيف: «إذا تمكنا من الثبات مدة أسبوعين بعد، فيمكننا بعدها أن نخبر الجميع».

التقت نظراتها بنظرات لازارو وقد أحست بالندم وتأنيب الضمير لأنها تسرعت في الحكم عليه وأساءت الظن به. لكنها كانت فخورة به أيضاً، لأنه أبى ليلة البارحة أن يخون ثقة صديقه، مع أنها وضعته في موقف حرج..

٩ ـ المدينة الخالدة

- ليتك أخبرتني الحقيقة!

عند خروجهما من باب الفندق، تساءلت كاترين كيف يعقل أن تكون السماء زرقاء صافية، والشمس مشرقة، والبرد قارساً إلى هذا الحد..

- لا يحق لي أن أخبرك الحقيقة..

- لمَ تركتني أسيء الظن بك؟

- أنت من اختار أن يسيء الظن..

- وأنت أيضاً..

لا بد أن أسوأ ما يمكن أن يحصل هو أن يرى المرء الوقائع من منظار مشاعره الشخصية..

- علينا أن نتحدث في الموضوع يا لازارو..

- ليس اليوم.. فلنستمتع بهذا النهار!

بضع ساعات فقط ويعودان إلى أوستراليا... بضع ساعات فقط وتعود علاقتهما إلى سابق عهدها.. فاترة.. باردة، خالية من أي مشاعر.. فصممت كاتلين على الاستمتاع بكل لحظة من اللحظات المتبقية لها في روما..

وما أن أنهيا طعام الفطور حتى اقترح عليها أن يقوما بجولة في روما..

توقفا في المقاهي الصغيرة حيث حاولت كاتلين أن تستعين بلغتها

www.elromancia.com

الايطالية المريعة، فيما تولى لازارو تقديم الاعتذار للعاملين فيها. وحرصت كاتلين على استخدام آلة التصوير في كل محطة يتوقفان فيها..

- عليك أن تشتري تذكاراً..

وقادها لازارو نحو متاجر كبار المصممين الذين اعتادت كاتلين أن تشتري قطعاً مقلدة تحمل توقيعهم..

ومع أنها كانت واثقة من أنها ستندم لاحقاً.. ومع أن المخازن في محلة بيازا دي سبانيا كانت في غاية الفخامة، إلا أنها لم تثر اهتمامها.. وعندما حثها لازارو على اختيار حقيبة أو حذاء أو أي شيء آخر يروق لها، أجابته: «أفضّل أن نواصل نزهتنا».

استجاب لرغبتها على الفور وانتقلا من شارع المتاجر الفخمة إلى الأدراج الاسبانية حيث أخرجت كاتلين آلة التصوير بشيء من الخجل وطلبت منه أن يلتقط لها صورة. وهزت برأسها وقد احمرت خجلاً عندما عرض عليهما أحد السائحين أن يلتقط لهما صورة معاً..

- شكراً لك لكننا لا نرغب في ذلك..

- ولمَ لا؟

ضحك لازارو عندما لاحظ احمرار خديها..

- ألا تريدين أن تتذكري هذا النهار الذي أمضيناه معاً؟

لن تنسى هذا اليوم طوال حياتها، سواء احتفظت بصورة لهما معاً أم لم تفعل.. لن تنسى يوماً الجولة التي قامت بها في شوارع هذه المدينة الساحرة برفقة أحد أكثر الرجال وسامة... لن تنسى يوماً القشعريرة التي سرت على طول عامودها الفقري عند شبك يده بيدها فبديا لبرهة من الزمن وكأنهما زوجين أو حبيبين يجوبان الشوارع ويتحدثان ويراقبان العالم وهو يدور من حولهما..

لم تكن بحاجة إلى مرشد سياحي لتدرك أنهما وصلا إلى ينبوع «تريفي»... ولم تحاول أن تسأل لازارو عما يفعله عندما مد يده إلى جيب سرواله وأخرج منه قطعة نقدية.

- أظنك تعرفين ما يقال...

كانت يده ثابتة عندما ناولها القطعة النقدية..

- إذا رميت قطعة نقدية فستعودين إلى هنا لا محالة... خذي..

لم تكن كاتلين واثقة من أنها ترغب في ذلك. فمهما كانت المدينة جميلة، لن تجدها يوماً أكثر جمالاً منها اليوم.. ولم تكن كاتلين واثقة من أنها ترغب في العودة إلى هنا من دونه.

كانت علاقتهما على أفضل ما يرام، وأحست بنفسها قريبة جداً منها لكنها تدرك تماماً أن هذا الوضع لن يدوم طويلاً.

- خذيها.

أخذتها منه في نهاية الأمر، وراقبتها وهي تغوص في القعر وتنضم إلى ملايين الأمنيات الأخرى... أغمضت كاتلين عينيها وهو يضمها بين ذراعيه، وأراحت رأسها على صدره محاولة أن تقنع نفسها بأن علاقتهما على أفضل ما يرام... وأن هذه المشاعر البسيطة التي تشاطراها كافية لحثهما على الصمود معاً في العالم الحقيقي.

١٠ - كذب وافتراء

- مرحباً يا أمي!

جلست كاتلين خلف مكتبها بعد مرور أسبوع على عودتهما من روما والسعادة تشع من عينيها لكن مشاكل والدتها أعادتها إلى ارض الواقع.

- كيف تسير الأمور؟

- على أفضل ما يرام..

قطبت كاتلين لدى سماعها ردها المفعم بالبهجة وسألت مستفهمة: «على أفضل ما يرام؟».

- اتصل بي المحامي منذ قليل... لقد ربحنا الدعوى!

وتلاشى صوتها وقد تحولت ضحكاتها إلى بكاء..

- يمكننا الاحتفاظ بالمنزل!

على الرغم من أن المحامي كرر لهما مراراً وتكراراً أن دعوى شيريل لا ترتكز على أسس متينة وأن رغبة جدها واضحة، وأن مساهمة والدتها في المنزل مثبتة بالوثائق، إلا أنّ كاتلين أحسّت بموجة من الارتياح تغمرها لدى سماعها الخبر.

قالت لها هيلين من بين دموعها: «شكراً لك.. أعلم أنني ضغطت عليك كثيراً.. ولم يكن من العدل أن أطلب منك أن تقترضي ذلك المبلغ الكبير..».

- لم أكن مرغمة على ذلك..

- كان بإمكانك أن ترفضي...

- كيف لي أن أرفض؟ هل نسيت ما فعلته من أجل والدك؟

* * *

- لمَ لم يحددا لائحة للهدايا؟

بدا لازارو في حيرة من أمره عندما دخلت المكتب مبتسمة..

- إنني سعيدة وحسب.

لم تطلعه يوماً على مشاكلها فالمبلغ الذي تعتبره ضخماً، يشكّل مجرد نقطة في محيط لازارو...

أخذت بطاقة الدعوة إلى حفل زفاف ابنة ألبريتو مانسيني من يده قائلة: «من حسن الحظ أنهما لم يفعلا! فهذا يعني أن أمثالك لن يتمكنوا من الضغط على زر ليتم إرسال هديتهم... هذا يعني أن على الأشخاص المغرورين والمتعجرفين أمثالك أن يبذلوا القليل من الجهد لاختيار هدية ملائمة للعروسين».

رفع يديه نحو السماء معبراً عن نفاد صبره وأجابها: «لكنني لا أعرف العروسين.. صحيح أن العروس هي ابنة صديقي لكنني لم أرها منذ خمس سنوات ولم تسنح لي الفرصة كي أقابل خطيبها.. كيف تريدين مني أن أختار هدية مناسبة لهما؟».

- حسناً، عليك أن تشتري هدية في أقرب فرصة ممكنة... لا تنسى أنك ستسافر نهار الخميس.

- تعالي معي.

- لا أستطيع! أعلم أنك معتاد على الأمر، وأعلم أننا سنسافر في الدرجة الأولى، ويمكنني النوم طوال الرحلة... أعرف هذا كله، لكن بصراحة...

- حسناً، فهمت ما تريدين قوله... يبدو أنك ترغبين في إجازة.

- هذا صحيح.

كانت بحاجة إلى إجازة لتلتقي أصدقائها وتعود إلى منزلها وترى والدتها وتقرأ. . . . صحيح أن لازارو كان صريحاً معها منذ اللحظة الأولى وحذرها من أن عملها متطلب جداً لكنها لم تتوقّع أن تصل الأمور إلى هذا الحد. وراحت تتطلع إلى عطلة نهاية الأسبوع حيث يمكنها أن تسترخي بتكاسل من دون أن تفعل شيئاً. . .

قال لها وعلى ثغره ابتسامة مفعمة بالأسف: «يبدو أنك مصممة على عدم مرافقتي. . .».

ورماها بنظرة مثيرة جعلت خديها يتوهجان. . فأجابته: «يمكنك أن تتدبر أمورك من دوني».

– علي أن أفعل ذلك. . . إنما عليك أن تختاري الهدية بنفسك تكفيراً عن ذنوبك. .

أرادت أن تعترض على كلامه لكنه أردف: «لا تنسي أن المتعجرفين والمغرورين أمثالي يستخدمون مساعدات شخصية لهذا السبب بالذات. . . يمكنك الانصراف».

ماذا يمكنها أن تشتري لشخص يملك كل شيء. . . شخص لا تعرفه ولم يسبق أن التقته؟ راحت كاتلين تجوب المتاجر بحثاً عن هدية ملائمة، آملة أن تتمكن من اختيار شيء مفيد ورائع في آن معاً. . . وعادت إلى الفندق بعد بضع ساعات، فارغة اليدين ومرهقة والابتسامة لا تفارق وجهها. . .

– آنسة بيل؟

تفاجأت كاتلين لدى سماعها اسمها، فالتفتت نحو مصدر الصوت؛ وإذا بها تقطب لدى رؤيتها امرأة شابة تدفع مذياعاً تحت أنفها. .

– ما هو تعليقك على الشائعات التي تسري عن تورط لازارو رينالدي في علاقة غرامية مع زوجة منافسه؟

– عفواً؟

تسمرت كاتلين مكانها لدى رؤيتها كاميرا التلفزيون مسلطة عليها،

وكأنها أرنب صغير سُلطت عليه مصابيح السيارة الأمامية. .

– تلقينا معلومات من مصدر موثوق تؤكد بأن السيد رينالدي على اتصال دائم ببونيتا مانسيني، ولدينا صور لهما وهما يتناولان طعام الغداء معاً، كما سمعنا أنها وفي العيد الستين للسيد مانسيني، أمضت فترة بعد الظهر برفقته. . . وحرص على أن يواسيها في الليل بعد أن أوصله إلى غرفته ثملاً. .

– كلا!

سارعت كاتلين إلى نكران الخبر وقد أحست بطنين في رأسها. . . بقي أسبوع واحد على موعد الزفاف. . . وجلّ ما تأمله بونيتا هو أن تتزوج ابنة زوجها قبل أن تعلم بمرض والدها. . لكن يبدو أن الصحافة استغلت ما حصل لتحرّف الوقائع وتحوّلها إلى قصة خسيسة. . .

– لكن السيدة مانسيني أمضت فترة بعد الظهر في جناح السيد رينالدي. . . .؟

لزمت كاتلين الصمت. . . وأحست بتورد خديها، فتمنت في سرها لو أنها كانت مستعدة بشكل أفضل للتعامل مع هذا الموقف. كانت تدرك أنّ عليها، هي مساعدة لازارو الشخصية، أن تغادر المكان من دون أن تتفوه بكلمة لتؤكد أو تنفي الخبر. .

– وأمضت الليل برفقته؟

– كلا، لم تفعل.

– كيف يمكنك التأكد من الأمر؟ تقول مصادري. . .

– أنا واثقة كل الثقة من أن السيد رينالدي لم يمضِ الليل برفقة السيدة مانسيني.

أدركت في الحال أنها ستندم على ما قالته لكنها لم تجد أمامها خياراً آخر. . عليها أن تدحض تلك الشائعات. . .

– وأنت واثقة من ذلك لأن. .

على الرغم من أن قرارها كان متسرعاً إلا أنه ليس متهوراً. . . فلا

تزال كاتلين تشعر بيد بونيتا على يدها... وذلك الحب الكبير الذي تكنه لزوجها على الرغم مما يقوله الجميع.. وأدركت أن لا خيار أمامها سوى المضي قدماً مع أنها لا ترغب في ذلك..

- أنا واثقة من أنه لم يكن برفقة السيدة مانسيني لأنه أمضى الليل برفقتي...

واستدارت وتابعت طريقها بعيداً عن الفندق... واختفت بين الحشود وهي تتساءل كيف تراها ستتمكن من مواجهته؟ كيف سيكون رد فعل لازارو عندما يعلم بما فعلته..؟

قطب لازارو جبينه وهو يشاهد التلفزيون بعد أن اتصلت به أخته وطلبت منه أن يشاهد الأخبار. واشتعلت نيران الغضب في عينيه عند سماعه ادعاءات المراسل الصحفي.

أراد أن يتصل ببونيتا ليحذّرها غير أن تجهم وجهه ما لبث أن تحول إلى ابتسامة عند سماعه اعترافاتها المتلعثمة.

قالت له انتونيا عبر الهاتف:

- إنها فاتنة...

أجابها مبتسماً:

- لكنها لا تعرف معنى التحفظ....

- ما الذي ستفعله في هذا الشأن؟؟؟

لم يجبها على الفور وفضّل أن ينظر من النافذة إلى شوارع المدينة التي تعج بالناس، وهو يدرك أنها في مكان ما هناك.. لا بد أنها مرتبكة ومذعورة، وتحتاج إلى من يخفف عنها... ويطمئنها إلى أنّ كل شيء على ما يرام... ولا خوف عليهما..

وللمرة الأولى منذ فترة طويلة، تنهد لازارو من دون ألم... وأحس بشيء من السلام يتسلل إلى داخله.

-لازارو؟؟

ابتسمت أنتونيا عندما قال لها أخوها أخيراً: «سنعلمك بأي جديد».

أقفل لازارو الخط وهو يتساءل في سره عما إذا كان عليه أن يتصل بها ويطلب منها التوقف عن الاختباء.. وإذا بباب مكتبه يُفتح لتدخل المرأة التي كان يتمنى ألا يراها ثانية.. فوجد نفسه مرغماً على التخلي عن واحته المؤقتة ليعود من جديد إلى جحيمه.

www.elromancia.com

١١ - عودة الأفعى

صرخ لازارو بوجه المرأة التي يكرهها كرهاً شديداً وشرارات الازدراء تتطاير من عينيه: «ما الذي تفعلينه هنا؟ من سمح لك بالدخول؟».

- سمحت لي أودري بالصعود.. يبدو أنها لا تزال تتذكرني..

وأعادت خصلات شعرها الداكن إلى الوراء وعبرت غرفة المكتب وكأنها تملكه.

- علينا أن نضع النقاط على الحروف ونصفي الأجواء بيننا.

- نصفي الأجواء بيننا؟ لكن الهواء يصبح ملوثاً في وجودك.. فرائحتك النتنة تجعلني....

ابتسمت له برقة وقالت: «شاهدت كاتلين على الأخبار.. عليّ الاعتراف بأنها بارعة.. عندما تصمم على شيء ما، تبذل ما في وسعها لتحقق غايتها».

- ماذا؟

هز لازارو رأسه رافضاً الإصغاء إلى كلامها.. رافضاً أن يتواجد في الغرفة نفسها مع روكسان وإن للحظة واحدة...

- اخرجي من هنا يا روكسان.. فأنت تثيرين اشمئزازي..

- هل دفعت نفقات محاميها يا لازارو؟

- محاميها؟؟

رفع لازارو حاجبيه استغراباً وأضاف: «لا أملك أدنى فكرة عما تتحدثين».

- أتقصد أنها لم تخبرك؟ هل نسيت كاتلين الرقيقة أن تخبرك أن والدتها عاشت عالة على جدي لأن هيلين بيل لم تكن تملك المقومات اللازمة لتعيل ابنتها غير الشرعية بمفردها، وأنها رفضت أن تعطي والدتي حصتها الشرعية من الميراث حتى بعد وفاة جدي؟

- أنت كاذبة... لا أصدق كلمة مما تقولينه...

وأخفض عينيه نحو الأوراق المكدسة على مكتبه.. لكنه بدا مشوش الذهن.. وهي تدرك ذلك..

- ولمَ تراني أكذب؟

التقت عيناه بعينيها الزرقاوين الشبيهتين بعيني كاتلين.. إلا أنهما كانتا أكثر ثباتاً ولم يظهر فيهما أي اضطراب وهما تحدقان فيه ما جعله عاجزاً عن التمييز ما بين الحقيقة والخداع..

- بما أنني أعرف كاتلين جيداً، يمكنني القول إنك بطل الخطة البديلة.

- ما الذي تريدينه يا روكسان؟

- أريد حق والدتي في الميراث.

- لو كانت تملك أي حقوق لأنصفتها المحكمة.

- لكنني لا أملك مصدراً لا ينضب للمال لأسدد أتعاب المحامين مثل ابنة خالتي... ولست على علاقة غرامية بأحد أفراد عائلة رينالدي...

وعلت إمارات المرارة وجهها وهي تضيف: «أتظن حقاً أنها رقيقة وطيبة القلب؟ أشعر بأنك تنظر إليّ وكأنني الساقطة الوحيدة هنا!».

- هذا أمر بديهي!

- أتعلم؟ لطالما سمعتها تردد أنها ستحصل عليك في نهاية الأمر...

لم يغب عنها تصلب فكه لكنه هز رأسه قائلاً بنبرة مفعمة بالاحتقار:

- أنت تكذبين يا روكسان... وجذور فسادك تمتد إلى عمق أعماقك.

- ما زلت أتذكّرها قبل يوم واحد من وفاة لوكا، وهي تحمل صورتك وتخبر الجميع أنك أوصلتها إلى منزلها..

راقبت روكسان شحوب وجهه، فأدركت في الحال أنها حققت مبتغاها...

- على أي حال، لقد سئمت التعامل مع المحامين... وأظن أن الصحافيين مثيرون للاهتمام أكثر ويمكن أن يدفعوا لي النقود لأتكلم.. لا شك في أن قصة لوكا ستشكل سبقاً صحفياً لا مثيل له.

- كم تريدين؟

أخرج دفتر الشيكات من الدرج بيدين ثابتتين، مع أن وجهه بدا أكثر بياضاً وبرودة من الرخام..

- حصة والدتي..

والتقت عيناها بعينيه وهو يدون ليس المبلغ الذي طلبته بل عبارتين بسيطتين من اختياره. وحدق في يدها الجشعة وهي تنتزع الشيك من يده، وراقب التواء فمها غضباً وهي تقرأ طلبه الفائق التهذيب بأن ترحل..

- يمكنك أن تتحدثي مع من يحلو لك لكنك ذكرت سابقاً أنني أملك نبعاً لا ينضب للمال، وإذا تفوهت بكلمة واحدة، فسأنفق ثروتي كلها لئلا تتمكني من الحصول على فلس واحد. واعلمي منذ هذه اللحظة أنني سأكرس حياتي كلها لأحول حياتك إلى جحيم.. وحذار أن تهددني ثانية أو تحاولي ابتزازي يا روكسان.. لأنني لا أحب التعامل مع الحقيرين أمثالك.

- لكنك تفعل يا لازارو.. وغباؤك يمنعك من رؤية ذلك، تماماً مثل اخيك...

واستدارت نحو الباب وهي تنفث غيرتها وسمومها وحقدها في كل كلمة تتفوه بها..

- الفرق الوحيد بيني وبين كاتلين هو أنها أحسنت الاختيار... يبدو أن ابنة خالتي فازت بالجائزة الكبرى..

بقيت رائحتها عابقة في الغرفة لوقت طويل.. رائحة مثيرة للغثيان تسللت إلى مسامه.. إنه العطر نفسه الذي كانت تضعه في ذلك اليوم... وفي هذا المكان بالذات... استرخى لازارو في مقعده، وأغمض عينيه منتظراً أن يزول إحساسه بالغثيان.. إلا أنه لم يفعل..

- لوكا..

أغمض عينيه فتراءى أمامه وجه أخيه.. بدا ذلك الوجه الذي لطالما كان مشابهاً لوجهه مختلفاً كلياً... ولم تكن سنوات الحزن والندم والمرارة وحدها المسؤولة عن تلك التغيرات... مرر لازارو أصابعه على طول الخط المتعرج على خده..على الندبة التي تسبب بها لوكا يوم وفاته..

طفت على السطح الذكريات التي أمضى أكثر من سنتين وهو يحاول محوها، وكلما حاول أن يتخلص من واحدة، برزت أخرى.... شعر وكأنه عالق في حقل للرماية، حيث تحوّلت كل صورة إلى هدف... وكلما أطلق النار على واحدة، عادت لتظهر بقوة وصلابة أكثر من ذي قبل.

على الرغم من مرور سنتين إلا أنه ما زال عاجزاً عن مواجهة ذلك الألم المبرح... وعاد الإحساس الموجع يتسلل إلى قلبه وظهرت إلى العلن الجروح غير المندملة التي لم تكن مهيأة بعد لأن يراها أحد... غير أن لازارو لم يكن يرغب في استرجاع ذاك الاحساس.. لم يكن يرغب في مواجهته..

ولكن هذا ما فعلته كاتلين... جعلته يواجه المستحيل..

عند دخولها إلى المكتب، أدركت كاتلين أنه لم يسمعها وهي تدق

الباب وأدركت أيضاً أنها ترى جانباً من شخصية لازارو رينالدي يُفضّل حتماً ألا يراه أحد.

كان رأسه بين يديه، وكتفاه مسترخيين، وبشرته رمادية اللون... خطر لكاتلين أن تعود أدراجها، وتغادر المكتب ثم تقرع الباب من جديد، لتجنبهما معاً إحراج تقديم التبريرات... غير أنه رفع نظره نحوها في تلك اللحظة بالذات.

- آسفة بشأن ما قلته لوسائل الإعلام... أعلم أنني تصرفت بحماقة، وأعلم أنه كان ينبغي أن أتصل بك مباشرة... لكنني شعرت بالاحراج...

كان وجهه خالياً من أي تعبير، ومع أنه كان ينظر إليها، إلا أنها أحست وكأن نظراته تخترق ذاتها وكأنه لا يسمع ما تقوله...

- تفاجأت بهم من حولي... ولم أشأ أن يبلغ الخبر مسامع البيرتو... لم أشأ أن يلمّح أحد أمامه إلى وجود علاقة بينكما...

قاطعها لازارو مصفقاً بيديه فأحست بتصفيقه أشبه بضرب السياط، واتسعت عيناها من شدة ارتباكها وهي تراه يجلس مسترخياً في مقعده مصفقاً على مهل...

- أحسنت يا كاتلين!

توقف فجأة عن التصفيق لكن الصدى بقي يتردد في أذنيها، فيما راح يحدق فيها وشرارات الحقد تتطاير من عينيه.

- أثبتت فشلك كمساعدة شخصية... عليك أن تحترفي التمثيل بعد أن أطردك..

- هل ما قلته لوسائل الإعلام هو السبب...؟

- لا تحاولي خداع مخادع... لاسيما مخادع محترف مثلي...

- مخادع؟ لا أفهم ما تقصده..

أجاب لازارو بنبرة ساخرة موجهاً كلامه إلى حشد غائب: «ما زالت مصرة على التلاعب بي».

- لا أفهم ما تقصده..

كانت الدموع تترقرق في عينيها، والأفكار تتضارب في رأسها...

وسألها مبتسماً مع أن نيران الحقد تتأجج في عينيه: «هل نحتفل بما قلته عن علاقة بيننا أمام وسائل الإعلام؟ أم بخداعك ابنة خالتك وحرمانها من الميراث؟».

أجابته كاتلين وقد أخذت أسنانها تصطك: «كيف علمت بالأمر؟».

- من واجبي أن أعرف كل شيء... هيا يا كاتلين..

ثم أضاف: «لست بحاجة الآن إلى اللجوء إلى الخطة البديلة».

- الخطة البديلة؟

- ابنة خالتك... تلك التي نسيت ذكرها.. تلك التي كانت تواعد أخي قبل وفاته، جاءت اليوم لزيارتي....

- أرجوك... لا أظنك تعرفها جيداً... ولا أظنك تعرف ما هي قادرة على أن تفعله..

- أنت مخطئة! كم من فرصة أعطيتك؟ كم من مرة تجاهلت أكاذيبك؟

وأضاف بصوت هادئ: «بريئة جداً... العذراء البريئة العديمة الخبرة».

أحست كاتلين بأوصالها ترتجف. لم تكن مرغمة على أن تبرر نفسها.. لم تكن مرغمة على أن تقول له شيئاً... أرادت أن تغادر المكان لكن الخدر في ساقيها منعها من الحراك...

- كذبت على المصرف.. كذبت بشأن سيرتك الذاتية... فالكذب أمر طبيعي بالنسبة إليك.. وأنا واثق كل الثقة من أنك لا تعرفين متى يمكن أن تلجئي إليه.. قولي لي شيئاً يا كاتلين... عندما قلت لروكسان إنك ستوقعيني في حبالك، هل كنت واثقة من نفسك؟ عندما مزقت صورتي من المجلة...؟

أحست بتوهج خديها وقد تسلل الخزي إلى عظامها.. وشعرت

وكأنها عالقة في كابوس، تحاول الصراخ لكن من دون جدوى...

- عندما عقدت العزم على الفوز بالجائزة الكبرى، هل كنت تظنين ذلك ممكناً؟ هل كنت تظنين أنني لن أفضح أمرك؟ هل ظننت أن ما قلته لوسائل الإعلام سيرغمني على الزواج بك؟ ألم تدركي بعد أنني لن أتزوج إلا من المرأة التي أحبها، وأنك لست هي؟

- أنا راحلة!

كان صوتها مخنوقاً ورجلاها خدرتين، لكنهما قادرتان على الحراك..

- جيد..

ومر بقربها كالزوبعة قائلاً: «اجمعي أغراضك وارحلي من هنا..أمامك خمس دقائق فقط.. لا أريدك أن تتركي شيئاً هنا.. فأنت تثيرين اشمئزازي».

- أكرهك..

استعادت كاتلين في تلك اللحظة قدرتها على الكلام، وكانت كل كلمة تتفوه بها تعبر عن حقيقة مشاعرها والحزن الكبير الذي غمر قلبها.

- كم أتمنى لو أنني لم أقع في حبك.

لم يفتها تصلب كتفيه وتردده الواضح عند العتبة قبل أن يخرج من الباب ويغلقه وراءه بقوة.

يمكنها أن تذرف الدمع لاحقاً، لكنها أحست في تلك اللحظة، بفتور في مشاعرها بعد موجة الغضب التي صبتها عليه. وقفت وسط المكتب وراحت تجمع أغراضها بيدين ترتجفان وقلب يتخبط بين ضلوعها. كان عليها أن تترك بعض الأغراض أيضاً ففتحت حقيبة يدها وأخرجت منها بطاقة الاعتماد وهي تتساءل عما يفترض بها أن تفعله بالهاتف.. لكنها وجدت نفسها عاجزة عن التفكير أو البقاء لحظة أخرى لتمحو الرسائل.. فقررت أن تترك هذه المهمة لشخص آخر...

- يبدو أن مهمتك انتهت...

كانت كاتلين فاقدة للحس إلى درجة أنها لم تصعق عند رؤية مالفوليو يقف عند عتبة الباب..

- هل طردك رينالدي؟

- شقيق زوجتك رجل سافل..

لم يعد عقلها يعمل بصورة طبيعية، وأحست وكأن كلمات لازارو جمدت ذهنها ما جعل ردود أفعالها بطيئة للغاية إذ اقتصر عمل عقلها على ايجاد سبل البقاء وحسب.

- كان بإمكاني أن أحذرك وأوفر عليك العناء...

وابتسم لها مالفوليو ابتسامة متعاطفة وأضاف: «رجال آل رينالدي سفلة ونساؤهم ساقطات... وأمثالنا لا يليقون بهم..».

لم تكن دفاعاتها معززة... ولم تتمكن من رؤية الأعلام الحمراء التي ترفرف في الأفق... ولم تسمع صوت الإنذار العاجل فيما ذهنها يناضل ليدق ناقوس الخطر في رأسها.. وفجأة، استفاقت من غفلتها وقد استولى عليها الذعر والخوف... لكن يبدو أنها تأخرت قليلاً... كان جسده ينبض بالحقد والغضب وهو يضمه إليها.. وأدركت كاتلين على الفور ما الذي سيحصل.. وعلى الرغم من صراخها ودفاعها عن نفسها، إلا أن حقده بدا أقوى بكثير... وعندما أوقعها أرضاً، تمنت في سرها ألا يطول الأمر... وأن ينتهي الكابوس قريباً جداً...

١٢ - سأرحل

ما الذي فعله بحق المساء؟

كان لازارو يزرع أرض البهو جيئة وذهاباً، ويده على فمه، بينما الموظفون يراقبونه باستغراب. استجمع غلين شجاعته واقترب منه سائلاً: «هل أنت بخير سيدي؟».

لم يجب عن سؤاله أو حتى يسمعه.. فذهنه مشغول بكاتلين وما أصابها بعد ما فعله بها... وتراءت له صورتها وهي مسمرة في مكانها، بعد أن أهانها وألحق بها الخزي... لكن ما الخطأ الذي ارتكبته؟

ألأنها تمنت أن يقع في حبها؟

ألأنها كانت تحبه طوال هذا الوقت؟

كم كره نفسه عندما تذكر الليلة الأولى التي التقاها فيها.. تباً... لو احتفظ بصورة لها.. لو كانت صورتها تظهر في المجلات...

كانت روكسان أشبه بأفعى سامة، تحوّر الوقائع وتغشي الحقائق... ما يجعلها مختلفة تماماً عن كاتلين.

تماماً كما كان لازارو مختلفاً عن لوكا...

فكاتلين رقيقة وجديرة بالثقة! إنها كذلك فعلاً!

حتى أنه وضع ثقته فيها... إنها المرة الأولى منذ سنين طويلة التي يضع فيها ثقته في أحدهم.. ويؤمن به.. ما أثار رعبه...

- سيدي؟؟ هل أحضر لك شيئاً؟

لاحظ هذه المرة إمارات القلق البادية على وجه المدير.

- كان مالفوليو يبحث عنه... فقلت له إنك في المكتب... هل ترغب في أن أتصل به....

- مالفوليو؟

وهرع نحو المصعد وراح يضغط على الأزرار بحدة... كانت كاتلين تقول الحقيقة منذ البداية ما يعني أنه تركها وحدها برفقته.

لم يشعر يوماً بأن المصعد بطيء إلى هذا الحد إذ أحس بكل دقيقة وكأنها دهر... فتح الباب بيديه وقد تملكه الإحباط، وهرع ليجدها مرمية على الأرض ومالفوليو فوقها فأبعده عنها بقوة ودفعه إلى الجهة الأخرى من الغرفة... كان يدرك أن أحدهم يسهر عليه في السماء.. لأن كل شبر من جسده طالبه بضرب مالفوليو ودق عنقه.. لكنه لم يفعل لئلا يقتله...

ضغط بأصابعه على الزر الخاص بجهاز الأمن، واستغل تلك اللحظات القليلة ليستجمع أفكاره، ويتأكد ما إذا كانت كاتلين بخير. وعندما رآها تجلس على الأرض وتضم ركبتيها إلى صدرها، أدرك أنه وصل في اللحظة المناسبة. التفت نحو السافل لمواجهته، وتفاجأ كثيراً عندما تبين له أن الحقد لا يملأ قلبه وحده فقد كان لمالفوليو حصة كبيرة أيضاً.

وراح هذا الأخير يصرخ والسخط ينبعث من عينيه: «تظن نفسك الأفضل... وتظن عائلتك أنها الأفضل... لكنكم مجرد أناس استغلاليين..».

- اصمت

- تتبختر في المكان أنت الآمر الناهي.. فتدين هذا.. وتشتم ذاك... لا عجب في أن لوكا لم يحبك يوماً.

وصل رجال الأمن، وعمّت الفوضى المكان لبعض الوقت قبل أن

يطلب لازارو من الجميع الخروج على الفور. شعرت كاتلين بالامتنان الشديد لأنها لم تكن ترغب في رؤية مالفوليو ثانية.. يمكنها أن تدلي بأقوالها في وقت لاحق، لكن ليس الآن.

جلست على حافة الأريكة تمسح الدماء عن شفتيها، وراحت تراقبه وهو يقفل الباب ويتوجه نحوها.. فأوقفته بنظراتها قائلة: «إنه محق».

- كاتلين!

- كان مالفوليو محقاً في ما قاله.

- لا تفعلي..

- فالخطأ الوحيد الذي ارتكبته هو أنني وقعت في هواك، وإذا بك تحوّل ذلك الإحساس الطاهر إلى شيء مثير للخزي!

- دعينا لا نتحدث في هذا الموضوع الآن! أريد التأكد من أنك بخير... هل ألحق بك الأذى باستثناء الجروح في شفتيك؟

صرخت كاتلين قائلة: «لم يلحق بي الأذى.. أو أقله ليس بقدر الأذى الذي سببته لي.. جعلتني أشعر بأنني رخيصة وخسيسة أكثر مما فعل مالفوليو».

- آسف!

حاول أن يمسك بيدها لكنها أبعدتها...

- كنت عائداً لأقول لك إنني آسف!

- عدت بعد فوات الأوان!

ووقفت مضيفة: «سامحتك مرات عدة يا لازارو.. لكنني أقسم بألا أفعل ثانية.. أقسم بأن أكرهك طوال حياتي».

الأصدقاء كنز لا يفنى..

فعلى الرغم من أنه كان مجرد زميل لها في العمل، أثبت لها غلين أنه صديق وفي إذ حضر فور اتصالها به، ووضع ذراعه حول خصرها وأخرجها من الغرفة. قادها بسيارته إلى منزلها ثم استدعى الزمرة... أو

مجموعة الأصدقاء الذين تجمهروا حولها كالفراشات، وشدوا على يدها مراراً وتكراراً مرددين لها أن لا ذنب لها في ما حصل وأن حياتها ستكون أفضل من دونه....

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

١٣ - مفاتيح اللغز

اسألي ابنة خالتك!

خلال الفترة المريعة التي تلي انقطاع أي علاقة... حين يحاسب المرء نفسه، وينتقد ذاته بقسوة بسبب الأخطاء التي ارتكبها، وإن لم تكن أخطاءً بكل ما للكلمة من معنى بل مجرد تصرفات عفوية.... وفي الليالي التي يجافي فيها النوم عينيك، وتتصل بمجيبه الصوتي لتسمع صوته، وتعيد في ذاكرتك الأحاديث التي جرت بينكما في محاولة يائسة للعثور على مفتاح للغز، تمكّنت كاتلين أخيراً من العثور على واحد. فقد سمعت للمرة الأولى في صوته، ليس تلك النبرة النابعة من صميم عذابه بل شيئاً من الاشمئزاز وهو يبعدها برقة قائلاً: «اسألي ابنة خالتك».

وهذا ما ستفعله.

فارتدت ملابسها على عجل ووضعت لمسة من الزينة على وجهها، وخرجت إلى العالم الذي بدا لها مشرقاً وصاخباً أكثر من ذي قبل، لتطرح بشجاعة السؤال الذي كان عليها أن تطرحه.

كانت قد أقسمت على ألا تعود إليه ثانية.... أقسمت على ألا تطأ قدماها ذلك الفندق ثانية، وألا تتواجد في الغرفة نفسها مع لازارو رينالدي طالما أن قلبها ينبض بالحياة.

كانت قد خرجت برفقة الأصدقاء وبكت وقرأت كتباً وأقرت على

مضض بأنه لا يعني لها شيئاً.. فعلت كل الأمور التي يمكن أن تفعلها أي فتاة حطم الحب قلبها: فكانت تتصل بأصدقائها بدلاً من أن تتصل به، ومحت رقمه عن هاتفها الخلوي، ولم تراودها نفسها أن ترسل له رسالة عند منتصف الليل... ومحت اسمه من صندوق الرسائل الواردة وانتظرت.

وانتظرت أن يتحسن حالها.

انتظرت أن يشفي الزمن جراحها.

فهذا الرجل لا يناسبها..

وستقابل حتماً الكثيرين سواه..

الملايين والملايين من الرجال الذين يتنقلون في العالم في هذه اللحظة بالذات.

ولكن لا أحد يشبهه أبداً.

إنه الرجل الوحيد القادر على جعل قلبها يتوقف عن الخفقان ما إن وقعت عيناها عليه وهو يجلس في بهو الفندق.

إنه الرجل الوحيد القادر على جعلها تُقدم على هذه الخطوة... سواء أكانت خطوة تنم عن شجاعة أم غباء، لكنها لم تتردد لحظة واحدة عندما اتصل بها وطلب أن يقابلها.

- شكراً لك.

لم تتمكن من النظر في عينيه وهو يرحب بها خشية أن تجهش بالبكاء...

- أشكرك على حضورك.

- لا عليك.

أصرت على أن يلتقيا في المطعم لأنها لم تقوَ على دخول مكتبه..

- آسفة لأنني اخترت أن نلتقي في مكان عام لكني لست قادرة على..

ماتت الكلمات على شفتيها... لم تكن قادرة على دخول المكتب

حيث وقعت الحادثة..

- لا عليك. أقدر ما تشعرين به.

- إنني واثقة من ذلك..

ارتسمت على شفتيها ابتسامة متحفظة... لطالما تساءلت في سرها كيف يمكنه أن يجلس في غرفة المكتب، ليس بسبب ما حصل مع مالفوليو وحسب بل بسبب الشجار الذي وقع بينه وبين شقيقه أيضاً.

وعلى الرغم من أنها لم تنظر في عينيه إلا أنها لاحظت إمارات الألم البادية على وجهه. فتلك الندبة التي تعلو خده بدت اليوم حمراء وكأن الشياطين الكامنة فيها تتذمر غاضبة تريد الظهور إلى العلن. لم تكن مغرورة بما يكفي لتتصور أنها السبب في هذا.

- كيف حال أنتونيا؟

لم تحضر كاتلين إلى هنا لتسأله عن أنتونيا لكنها أرادت أن تعرف. كان تهتم لأمر تلك المرأة التي انقلبت حياتها رأساً على عقب.

- إنها بخير.

ونجح لازارو في رسم ابتسامة على ثغره أمام تعابير الاستغراب التي بدت على وجهها.

- أقسم لك. يبدو أن زواجها لم يكن ناجحاً لكنها لم تكن على علم بأمر علاقاته الغرامية...

- علاقاته الغرامية؟

أومأ لازارو برأسه قائلاً: «عندما تتعثرين بالحقيقة تتكشف لك الكثير من الأكاذيب».

قطبت كاتلين وسألته: «من قال هذه العبارة؟».

- أنا... بعد تأمّل عميق وملي.

رباه! كيف استطاع أن يجعلها تضحك بعد كل ما حصل؟ كيف نجح في هذا اليوم المظلم أن ينتزع منها ضحكة؟

- إنها بخير حقاً. يبدو أنها كانت ترغب في إنهاء زواجها منذ فترة

طويلة لكنها لم تجد سبيلاً إلى ذلك... لم تتوفر لديها أسباب وجيهة لتطلب الطلاق.

- بات لديها الآن سبب وجيه.

- إنها آسفة لما حصل وقلقة جداً عليك.

- ألم تلمني على ما حصل؟

لم تتمكن من السيطرة على نفسها فراحت الدموع تسيل غزيرة على خديها... سارعت كاتلين إلى مسحها لكن من دون جدوى. فعندما تحدث إليها ذلك الرجل البارد المشاعر برقة وحنان، شعرت بكلماته تمزق فؤادها...

- لا داعي للإحساس بالذنب يا كاتلين... لم ترتكبي أي خطأ، وانتونيا واثقة من ذلك... عليك أن تخففي عن نفسك.

- معك حق.

تنفست كاتلين الصعداء لأن كلماته أكدت لها أن لا أحد يلومها على ما حصل...

- كان عليّ أن آخذ شكواك الأولى على محمل الجد..

- لا..

هزت كاتلين رأسها وقد أدركت أنّ ما من فائدة ترجى من هذا الكلام..

- انتهى الموضوع... ويسرني أن أنتونيا بخير.

- نعم.. قالت لي...

وتوقف لازارو عن الكلام وقد بدا متردداً...

- ما الذي قالته؟

- لا يهم..

لكن كاتلين أرادت أن تعرف... هز رأسه معلناً انتهاء الحديث عند هذا الحد ما قادهما إلى الموضوع التالي.. فأخذ نفساً عميقاً قبل أن يقول لها: «إني أدين لك بتفسير».

www.elromancia.com

- حقاً؟

كانت قسمات وجهه متوترة، والعرق يتصبب من جبينه، ومد لسانه ليرطب شفتيه الجافتين.. غير أن ذلك لم يجدِ نفعاً فحمل كأس الماء وأفرغ محتواها بغمضة عين. لم تغب عنها محاولاته لمقاومة الجواب أو التملص منه. وأدركت أنه قد يعمد إلى مغادرة المكان في أي لحظة فهذا ما تشعر به هي أيضاً.

إلا أن لازارو لم ينهض من مكانه، واستعد لمواجهة الموقف فما كان منها إلا أن حذت حذوه ولازمت مكانها.

- بعد أن عرضت عليك الوظيفة، اكتشفت أن روكسان هي ابنة خالتك.. ومنذ تلك اللحظة....

- وأنت تنتظر أن أكشف عن وجهي الحقيقي؟

أوماً برأسه بندم ومرارة...

- لم أشأ أن أعجب بك.. وحذّرت نفسي من الوثوق فيك... إنما لم يكن باليد حيلة.. وعندما جاءت روكسان في ذلك اليوم المشؤوم وحدثتني عن معركتك القانونية التي لم أكن على علم بها..

- ماذا كنت لتفعل يا لازارو؟

- كان بإمكاني مساعدتك...

- كلا..

هزت كاتلين رأسها وأضافت: «لو فعلت، لظن الناس أنني أستغلك... ترعرعت والدتي في ذلك المنزل وأمضت معظم حياتها فيه... فأعادت ترميمه، وزخرفته وهندسته...».

- لا داعي لان تقدمي لي الأعذار...

- أظنك تطرقت إلى الموضوع لتسمع ما سأقوله... لم تكن المسألة تتعلق بالبناء أو المال.. بل بالمنزل الذي عاشت فيه طفولتها، ومراهقتها وشبابها.. عرضت أمي على شيريل أن تترك المنزل في وصيتها مناصفة بيني وبين روكسان...

- أسأت الحكم عليك!

- هذا صحيح!

- أسأت الحكم على أمور كثيرة... فأنا وروكسان..

تمنت لو تستطيع أن تمد يدها وتمسك بيده، وتواسيه وتخفف عنه عذاب الماضي... لكن مكانها لم يعد بجانبه...

ولم يكن كذلك يوماً... لأن لازارو يحرص على ألا يسمح لأحد بدخول حياته...

- وقعت حادثة.... حادثة لم تبلغ مسامع وسائل الإعلام... عندما جاء إلى مكتبي، أخبرت لوكا أنني اتخذت الإجراءات اللازمة ليشارك في برنامج لإعادة التأهيل، وأكدت له أنني سأقف إلى جانبه شرط أن يبذل القليل من الجهد ليصلح نفسه غير أنه رفض المشاركة فيه.

كان صوته هادئاً على غير عادة..

- رفض الاعتراف بوجود مشكلة، مع أن الجميع يدركون ذلك إذ كان يفرط في شرب الكحول، ويلعب القمار، ويراكم الديون. كنت أحرص على إزالة الفوضى التي يخلّفها لكنني لم أكن قادراً على القيام بذلك إلى ما لا نهاية..

- هذا صحيح..

- كان عليه أن يعترف بوجود مشكلة قبل معالجتها..

كان كلاهما يدرك بأنهما لم يلتقيا اليوم للبحث في هذه المسألة..

- وصلت روكسان أثناء خروجه من المكتب فاصطدم بها وأوقعها أرضاً ما أثار سخطها.. ساعدتها على النهوض وقد بدأت بالبكاء وحاولت أن أخفف عنها..

بدا الأمر وكأنه يدلي بإفادته في مركز الشرطة. كانت نبرة صوته هادئة إلى حد يثير القلق وهو يسرد الأحداث المروعة، ويتفوه بالكلمات القاسية بصوت خالٍ من أي انفعال.

- قلت لها إنني آسف لما فعله بها لوكا..

www.liromania.com

أحست كاتلين في تلك اللحظة بجفاف في حلقها، وكانت ممتنة كل الامتنان عندما أخذ زجاجة المياه وملأ كأسها. حملت الكأس بيدين مرتجفتين وارتشفت القليل منها.

- وقلت لها إنني على استعداد لمعاملتها بشكل أفضل من لوكا... لا أدري ما الذي حصل وجعلني أفقد السيطرة على زمام الأمور.. وفي تلك اللحظة..

أكملت كاتلين الجملة بدلاً منه: «عاد لوكا..».

- ورآنا معاً.

- ألهذا السبب اعتدى عليك بالضرب؟

- جن جنونه.. وقال إنني لطالما كنت الأفضل، والأكثر ذكاء، وإنني أفسدت حياته وسلبته كل شيء جميل في حياته حتى المرأة التي يحبها.. وإنني ألحقت به الخزي مراراً وتكراراً..

وأغمض عينيه قبل أن يضيف: «قال كلاماً كثيراً».

- لا شك عندي في ذلك.

- وانقض علي كالثور الهائج، ونقلوني بعدها إلى المستشفى لمعالجة جروحي..

سالت الدموع على وجنتي كاتلين وهي تحدق في ذلك الرجل النابض بالرجولة وقد بدا على شفير الانهيار....

إنها المرة الأولى التي يواجه فيها هذه المسألة..

أطلق تنهيدة مروعة ممزوجة بالألم وكأن أحدهم لكمه على معدته... هل أخبرها حقيقة ما حصل؟ لم يكن واثقاً مما إذا كان يروي الأحداث أو يعيشها من جديد.. ففي تلك اللحظة، لم يكن يجلس مع كاتلين بل عاد بالذاكرة إلى تلك الحجرة في المستشفى حيث ضمدوا جرح خده.. كان الغضب يقض مضجعه.. أراد الخروج من ذلك المكان ليبحث عن لوكا ويسوي الأمور بينهما.. وفجأة، تلاشى كل ما حوله في بحر النسيان عندما رأى عربة نقالة تمر بحجرته، وأحس وكأنه

ينظر إلى نفسه في المرآة. عندئذ، سارعت إحدى الممرضات إلى إغلاق الستارة وقد شاهدت علامات الرعب على وجهه... إلا أن لازارو أعاد فتحها، ودخل غرفة الإنعاش على عجل على الرغم من اعتراض الطاقم الطبي فيها... صمّت صرخات الغضب أذنيه، ولاحظ إمارات الذهول على وجوههم وهم ينظرون إلى وجه الرجل الذين يحاولون إنعاشه المطابق تماماً لوجه ذلك الدخيل... كما لاحظ أيضاً البؤس في عيون الأطباء عندما أدركوا أنه شقيقه التوأم..

- أنا في غاية الأسف..

عبارة تافهة أطلقها أحد الأطباء قبل وصول أنتونيا...

لم يكن بحاجة إلى مخدر ليضعوا الغرز لجرحه فالألم خدر حواسه كلها ولم يشعر بوخز الإبرة التي تنغرز في جلده..

- إنني في غاية الأسف..

عبارات تافهة سمعها بعد مرور بضع ساعات بينما هو يمسك بيد أخيه الباردة، محدقاً في الوجه الذي يشبه وجهه... فأحس وكأنه هو...

- أدركت أنه توفي منذ أن وقعت عيناي عليه..

بقيت كاتلين مسمرة مكانها تصغي إلى كلامه، مع أن الخطبة المسهبة التي ألقاها تركت جرحاً في قلبها..

- أدركت أنه فارق الحياة ولم يعد بإمكانهم أن يفعلوا أي شيء لإنقاذه.. كان كل شيء قد انتهى عند وصول أنتونيا، ومن ثم والدتي..

- هل حضرت روكسان أيضاً؟

أومأ لازارو برأسه وأجاب: «اتصلت بها أنتونيا. لم تكن على علم بما جرى».

- لكنك أخبرتها؟

- أخبرتها روكسان.

أخذ نفساً عميقاً ثم أردف: «أصيبت بنوبة هستيريا... واتهمتنا

بقتله... وألقت اللوم علي لأنني كنت أغازلها عندما فاجأنا لوكا ...».

تحول لون بشرته إلى رمادي واشتد اللون الداكن في الخطوط المحيطة بعينيه...

- عاد لرؤيتي يا كاتلين... عاد لرؤيتي... لعله كان مستعداً للخضوع للعلاج.... ربما لو لم يجدنا معاً...

- لعله نسي مفتاح سيارته وعاد ليأخذه..

تفاجأت كاتلين من هذه القسوة لكن الكيل طفح من لوكا، لوكا رينالدي الذي اكتسب صفة القداسة بعد موته، وتناسى الجميع سيئاته وأخطاءه، وأعفاه شقيقه وأفراد عائلته من الدور المروع الذي لعبه... لم يهتم لوكا يوماً بنفسه وبالأشخاص الذين أحبوه..

- ربما عاد ليقترض النقود أو ليطلب منك أن تذهب إلى الجحيم!

- إلى الجحيم!

قطب لازارو جبينه فكاتلين تفاجئه دوماً بالعبارات التي تستخدمها.

- كان بإمكاني أن استخدم عبارات أكثر تهذيباً، لكني أظن أنك فهمت قصدي... حسناً، ما الذي قاله أفراد عائلتك؟

- كلام كثير... أصيبت والدتي بنوبة هستيريا وضربتني...

كان صوته خالياً من أي انفعال..

- حتى أنها مزقت بعض الغرز... تقيأت أنتونيا في وجهي وقالت لي إنها ستكرهني إلى الأبد... وستحقد على روكسان أيضاً.. قلت لها إن الذنب ليس ذنبها..

وابتسم ابتسامة مرحة مضيفاً: «يبدو أن كثيرين سيكرهونني إلى الأبد».

- أنا لا أكرهك يا لازارو..

نظرت إليه للحظات ورأت نظراته الحادة، وبصيص الارتياح على وجهه المرهق..

- لعلي كرهتك في وقت من الأوقات.. أو لعلني قلت ذلك لأجرح مشاعرك... لكنني لم أعد أكرهك..

- شكراً لك.

ذرفت كاتلين دمعة واحدة فقط هذه المرة.... فما تريد قوله وما تريد سماعه أهم بكثير من أن تطلق العنان لمشاعرها...

- ألهذا السبب حرصت على ألا تلتقي بروكسان ثانية؟

كانت كاتلين تترقب كل رد فعل قد يقوم به..

- هل كان ضميرك يؤنبك؟

- طبعاً..

- طبعاً...

رددت كاتلين كلمته هذه بسرعة، وحدقت فيه وهو يقطب جبينه استغراباً..

- لا أصدقك يا لازارو...

- ما الذي تتحدثين عنه؟

للمرة الأولى منذ أن جلسا معاً، نجحت كاتلين في النظر في عينيه والتفرس في تينك البركتين الداكنتين... فخلافاً للازارو، لم يعد لديها ما تخفيه الآن، لم يعد لديها ما لا تستطيع أو لا ترغب في الكشف عنه.. لقد اعترفت له بحبها في وقت سابق، وتقبلت فكرة رفضه لها.

والغريب في الأمر هو أن الغلبة كانت لكرامتها وسط كل ما جرى ما بعث في نفس كاتلين بيل إحساساً لا يضاهى بالثقة بالنفس.

- أنت تكذب..

- أكذب! كنت صريحاً معك إلى أقصى حد وأخبرتك بما جرى بالتفصيل الممل.. كيف تجرؤين على اتهامي...

- بالكذب؟

خرجت نبرة صوتها عالية بعض الشيء إلا أنها لم تأبه ما إذا كان أحدهم ينظر إليهما أو يصغي إلى كلامهما.

www.elromancia.com

قالت له بحدة: «تحدثت إلى روكسان.. ذهبت لمقابلة المرأة التي تكرهها أشد الكره وسألتها عما حصل في ذلك اليوم».

- ماذا قالت لك؟

- أخبرتني القصة نفسها.

لمحت كاتلين الحيرة في عينيه المتعبتين فقالت له بنبرة مثقلة بالغضب من أجله وليس منه: «روكسان امرأة كاذبة، وكلانا يعلم هذا..».

كلا.. كانت غاضبة منه أيضاً، بسبب اصراره على تعذيب نفسه وتحمّله إثماً لا ذنب له فيه..

- وأنت تكذب أيضاً يا لازارو.. وما زلت تختلق الأعذار للوكا... ما زلت تحرص على إزالة الفوضى التي خلّفها وراءه.

وقفت منتصبة وهي لا تصدق ما تفعله إذ قررت التخلي عنه في اللحظة التي هو في أمس الحاجة إليها... وفجرت غضبها في وجهه في حين أنه بحاجة إلى السكينة.. لكنها لم تستطع السيطرة على نفسها... لم تتمكن من كبح ما في داخلها..

- بعد كل ما حصل.. بعد كل ما عانيته معك ومن أجلك، ها أنت تجلس أمامي وتنظر في عيني وتكذب بكل وقاحة... إذا كنت مصمماً، بعد هذا كله، على أن تحتفظ لنفسك بالجزء الأساسي من ذاتك فاعلم أنني لا أريد الباقي.

- كاتلين!

ناداها لتعود أدراجها وأمرها بألا تغادر المكان.. لكنها أبت أن تذعن وتابعت تقدمها مكتفية بالالتفات مرة واحدة إلى الوراء. وسرّت كثيراً عندما رأته يجلس وحيداً، مسمراً في مكانه وقد اختار بملء إرادته أن يبقى وحيداً... اختار بملء إرادته ألا يغضب، وأبى رؤية حقيقة أخيه.. أبى التعلق بالحياة والمضي قدماً... كانت كاتلين بحاجة على هذا الزخم لتحث خطاها، وتهز رأسها بازدراء وتغادر المكان... كان وقع خطواتها على الرخام المصقول يتردد في أذنيها وهي تعبر الردهة

والدموع تنهمر بغزارة من عينيها.. لم تكن تبكي من الألم بل من الغضب.. وسمعت وقع خطى خلفها، وراودتها نفسها أن تصفعه عندما أمسكها برسغها وأرغمها عل الالتفات نحوه..

- كيف؟

كانت عيناه شاحبتين وصوته أشبه بالنباح..

- كيف عرفت؟

- لأنني أعرفك جيداً.

ورفعت يدها ولكمته على صدره.

- أعرف أنك سافل وقاسي الفؤاد وتفتقر إلى بعض القيم. لكنني أعرف أيضاً بأنك لم تصل إلى هذا الدرك أبداً.

عاد يسألها من جديد وقد بدا عليه الذهول هذه المرة: «كيف عرفت الحقيقة؟».

- سبق واعترفت لك بحبي..

كانت الدموع تسيل على وجنتيها كحبات من اللؤلؤ وهي تردف: «لكنك لم تدرك يوماً أني امرأة طيبة القلب وصاحبة ذوق رفيع..».

وتمكنت من رسم ابتسامة على ثغرها عندما رأت طيف ابتسامة على فمه..

- وأحب الالتزام بمبادئي، وأثق بنفسي كثيراً.. ولم أتصور أني قد أقع يوماً في غرام شخص لا أثق به.. شخص لا يقوى على إلحاق الأذى بصديقه... فكيف يعقل أن يفعل ذلك بأخيه من لحمه ودمه؟

- ليس هنا..

كان صوته ملحاً ونظراته تجول في أرجاء البهو الذي شهد على بداية علاقتهما، وسيكون حتماً شاهداً على نهايتها.

أذعنت أمام طلبه ورافقته إلى المصعد ليصعدا معاً إلى مكتبه من دون أن تشعر بالانزعاج من دخول ذلك المكان ثانية.. فلازارو يشغل تفكيرها كله.

- حاولت روكسان التودد إليّ لكنني كنت أصدها باستمرار.

وقفا في المصعد جنباً إلى جنب يحدقان في الباب بدلاً من أن يتبادلا النظرات..

- طلبت منها أن تذهب إلى الجحيم... واستعملت عباراتك المهذبة..

رفعت عينيها نحوه مبتسمة وقد أحست بأنهما دخلا عالمهما الخاص حيث يستخدمان لغة خاصة بهما..

- فعانقتني وقالت لي إنها لطالما أحبتني... ويبدو أنها واعدت مالفوليو أيضاً..

ذهلت كاتلين لدى سماعها هذا الاعتراف ولم تلاحظ أن باب المصعد انفتح.. ولكن مع دخولها غرفة المكتب بدأت الصورة تتوضح أمامها فسألته: «هل كان مالفوليو من عرّفها على لوكا؟».

- كان مالفوليو بطاقة وصولها إلى لوكا.

هزت كاتلين كتفيها بلامبالاة وقالت: «من حسن الحظ أنني لم أحذو حذوها واخترت التعامل مع صاحب المرتبة العليا».

- لن أقارنك بها أبداً ثانية!

- كانت في صغرها سيئة الطباع.

وأطلقت تنهيدة غضب وأضافت: «كانت تعبث بأغراضي وتحطم ألعابي وتسعى للاستيلاء على أشيائي... أنا لا أحاول أن أجد الأعذار لمالفوليو..».

كانت كاتلين تفكر اكثر مما تتكلم.. كانت تفكر بصوت مرتفع..

- أظنك أدركت الآن سبب كرهه لك.. وكرهه لي أيضاً...

- لا أريد التفكير في الأمر.. ولا أريد التفكير في الأمور التي دفعته إلى التصرف على هذا النحو...

لم تشأ كاتلين أن تشغل تفكيرها به أيضاً... أرادت أن تركز اهتمامها كله على لازارو لتتمكن من فهم كل شيء..

- لمَ لم تخبر أفراد عائلتك بحقيقة ما حصل؟

- وألحق العار بلوكا مرة أخرى؟

هز لازارو رأسه وأضاف:

- كيف تريدين مني أن أخبر أفراد عائلتي بحقيقته وجثته لم تبرد بعد؟ كيف تريدين مني أن أقول لهم إن الخطوة الوحيدة الايجابية التي قام بها في حياته هي...

- وتتحمل اللوم لوحدك؟ تركتهم يظنون أنك كنت تتودد إلى روكسان في حين أن العكس هو الصحيح؟

- قال لي إنني حرمته من كل شيء.. لعله كان محقاً! لم أستطع أن أحرمه من هذا أيضاً..

- ألقى لوكا اللوم عليك لأنه لم يكن يجيد سوى ذلك.. كان يلومك على الفوضى التي يزرعها لأن هذا أسهل من لوم نفسه والاعتراف بأنه يعاني من مشكلة.. وأسهل من مواجهة حقيقة حياته الفاسدة.. كان لوكا يعرف حقيقة ما جرى كما أعرفها أنا..

وإذ رأته يهز برأسه، تابعت تقول بنبرة صارمة: «بلى.. كان يغار منك.. ولا بد أنه فضل أن يظن أنك السبب مع انه كان يعي تماماً حقيقة ما جرى في ذلك النهار... لم يشأ مواجهة الحقيقة.. تماماً كما رفض مواجهة كل شيء آخر..».

- أتظنين حقاً أنه كان على علم بالأمر؟

- قطعاً..

حدقت فيه وهو يفتح عينيه على الحقيقة، وكأنه يراقب الساعة وهي تعود إلى الوراء مزيلة عن عاتقه حملاً رزح تحت ثقله طويلاً.

- كاتلين..

وجذبها نحوه وراح يمسح الدموع التي جرت على وجنتيها.

مع أنه لم يكن يحبها.. ولن يحبها أبداً، إلا أنّ كاتلين لم تتمكن من صده وفضّلت أن تنتهي الأمور على هذا النحو..

كان يعلم أنها تحبه فالأوراق كلها انكشفت ولم يعد ثمة أسرار بينهما.

همس باسمها: «كاتلين».

وضمها إليه وأراح رأسها على صدره قائلاً: «كلما نظرت إلى هذه الغرفة...».

وانفجر بالضحك. لم يكن الأمر مثيراً للضحك أو للحزن...

- ستتذكرني؟

- أتذكرك؟

ورفع ذقنها بأصابعه لتلتقي نظراتهما. لم تكن هذه المرة الأولى التي تنظر فيها إليه بعينين مفعمتين بالحب.

- لا أحتاج لأن أتذكرك لأنني سأراك كل يوم.

- لن تراني كل يوم يا لازارو.. لن ينجح الأمر..

قطب جبينه وسألها: «هل تنوين الرحيل فعلاً؟».

وهز رأسه باستغراب واردف: «يا لك من امرأة غريبة يا كاتلين! امرأة طيبة وشريرة في آن معاً!».

- لكنني طيبة القلب...

أخذ قلبها يتخبط بين ضلوعها من شدة الانفعال. أتراه لا يريدها أن ترحل؟ ولِمَ يريدها أن تبقى؟ وبأي صفة؟ لا يمكن للأمور أن تبقى على حالها بعد كل ما حصل وبعد هذه المصارحة؟ ماذا يريد منها لازارو؟ أيريد أن يزيد من عذابها؟

وعضت شفتها العليا وقد تملكها الخوف... الخوف من أن تطرح الأسئلة فتأتي الأجوبة مخيّبة لآمالها.

- أنا أحبك..

- آه!

- أحبك!

- أنا؟

- أجل أنت!

- قلها ثانية!

- أحبك..

- ماذا يعني ذلك؟

كانت تحتاج إلى سماعه يتفوه بتلك الكلمات..

- يعني أنني لا أريد العيش من دونك!

- إذن؟

- وأنني أريد أن أستيقظ في الصباح على وجهك الفاتن، وأخرج عن طوري بسبب إزعاجك المستمر لي.. أريدك أن تثيري ارتباكي... لا أريد أن أتعرف عليك...

قاطعته كاتلين: «كلامك ليس منطقياً... أظنك تريد القول إنك تريد أن تعرفني عن كثب..».

- أعرف جيداً ما أريد قوله.. أريد أن أمضي بقية حياتي محاولاً أن أفهمك.. أحب كثيراً عندما تثيرين ارتباكي.

- آه!

ابتسمت كاتلين وأغمضت عينيها لأنها تدرك تماماً أنها ستجده قربها عندما تفتحهما من جديد.

- أعترف بأنني وقعت في حبك منذ زمن بعيد جداً.

- متى؟

كانت عيناها مغمضتين والابتسامة تعلو ثغرها، وكلماته أشبه بأشعة الشمس الدافئة على وجهها.

- في الفندق؟ أو في روما..؟

- اصمتي ودعيني أتكلم!

ولزمت كاتلين الصمت... كانت سعيدة جداً لأنها فعلت فلو لم تفعل لما تسنى لها أن تسمع جوابه المذهل.

- عندما دقت الساعة معلنة انتصاف الليل في المرة الأولى التي

www.elromancia.com

تقابلنا فيها.

- لم يكن الليل قد انتصف..

فتحت عينيها وقلبها له. لم يعد بإمكانها أن تلزم الصمت طويلاً وتكبح عواطفها خاصة بعد أن اكتشفت أنه يبادلها الشعور نفسه.. لطالما كان حبهما حقيقياً، والشعلة التي حملتها منذ أكثر من سنتين لم تنطفئ لسبب وجيه.

- كانت الساعة الثانية عشرة إلا عشر دقائق، لأنني أذكر أنني نظرت إلى الساعة.. كانت الساعة الثانية عشرة إلا عشر دقائق عندما وقعنا في الحب..

- لا تتوقعي أن تكون ردود أفعالي سريعة مثلك، فأنا أحب التفكير في هذه الأمور ملياً وعدم التسرع في اتخاذ القرارات.

وراح يعانقها بين عبارة وأخرى وكأنه أمام مأدبة عامرة بالأطعمة الشهية يمكنه أن يختار منها ما لذ وطاب وقدر ما يشاء..

- دخلت قاعة الرقص متأبطاً ذراع امرأة ساحرة فتجمهر حولي الأصدقاء لكني رحت أنظر إلى الساعة وأحدق في الباب المغلق وفي داخلي توق شديد للخروج. كنت أملك كل ما يمكن أن يحتاجه الرجل، ومع ذلك شعرت بالانزعاج لأنك لست معي.

فقالت له كاتلين برقة: «أنا هنا الآن».

- وأنا أيضاً.

وراح يلامس وجهها لمسات رقيقة، ناعمة مزيلاً حزنها ووجعها، طارداً الظلال المريعة والمخيفة كلها..

- هذا هو المكان الذي أنتمي إليه...

الخاتمة

سألته كاتلين بعد أن طلب من النادل الفاتورة: «هل تسمح لي أن أقول شيئاً؟».

أجابها لازارو: «كان الطعام لذيذاً، ولا أجد من داعٍ للشكوى».

- ولكن كلما أتينا إلى هنا يخطئون في الأطباق. طلبت طبق الأرز بالفطر فأحضروا لي كرات الأرز بالخضار.

أخرج لازارو ورقة نقدية أخرى وأضافها إلى البقشيش السخي الذي سبق وناوله للنادل. كانا يجلسان في أحد أرقى المقاهي في روما حيث بذل النادل جهداً ليفهم لغة كاتلين الايطالية السيئة، ويدرك أنهما يرغبان في تناول الأرز والخضار.

كان الأمر سيئاً جداً.

فعلى الرغم من مضي أكثر من سنة على زواجهما وتنقلهما بين مدينتين رائعتين، وعلى الرغم من إنجابها طفلهما البكر في مدينة روما، لم تنجح كاتلين في إتقان اللغة الايطالية بعد. لكنها كانت تتكلمها بحماسة وشغف فائقين، وعلى ثغرها ابتسامة دافئة ساحرة، ما يجعل الجميع، من أطباء وقابلات، مروراً بموظفي الفندق والخدم في المطاعم، يترددون كثيراً قبل أن يلفتوا انتباهها إلى الأمر.

بدا النادل مرتبكاً وهي تشكره بلغتها الخاصة ثم تضع طفلها في عربته وتقودها خارج المطعم. فسارع لازارو إلى ترجمة كلامها قائلاً له: «كان

www.elromancia.com

الطعام رائعاً.. شكراً لك..».

ولحق بطفله وزوجته إلى الخارج.

- أشعر وكأنهم لم يروا طفلاً أشقر قط من قبل...

ابتسمت كاتلين وهي تسمع المارة يهمسون بكلمات رقيقة عند مرورهم أمام عربة الطفل..

- يا له من طفل رائع! إنه نسخة طبق الأصل عن والدته.

فذلك الطفل الأشقر الذي لم يتجاوز سنه الستة أسابيع، والذي يرفع رأسه ليرى ما يدور من حوله رافضاً أن ينام هو نسخة طبق الأصل عن والدته... وكان لازارو مفتوناً به تماماً كما هو مفتون بزوجته.

- هذا صحيح... حان الوقت للبحث عن هدية... لا أفهم ما الذي منعهما من وضع لائحة بالهدايا؟؟

- هل نسيت أننا لم نفعل؟

- لأنك رفضت الفكرة رفضاً قاطعاً، وانتهى بنا الأمر أمام كومة من القمامة..

والتفت نحو إحدى صالات العرض وأضاف متململاً: «ليست المرة الأولى التي تتزوج فيها، وأظنها حصلت على كل ما ترغب فيه في المرة السابقة».

- وحصلت على كل ما تريده عند طلاقها.

وقهقهت كاتلين قبل أن تتابع قائلة: «ما رأيك في هذه؟».

وأشارت بإصبعها إلى لوحة معلقة في واجهة صالة عرض للأعمال الفنية الحديثة.

- يخيل إلي أنها تحمل توقيع فتى في الخامسة من عمره... يكفي أن تؤمّني لدانتيه فرشاة ليرسم لوحة أفضل منها.

- لكنها رائعة يا لازارو!

- إنها تجسد ثلاث حلقات ضمن حلقة أكبر حجماً.

- انتونيا، وماريانا والطفل لوكا يحيط بهم داريو ويسهر على

راحتهم..

وقف لازارو أمام الواجهة يحدق في اللوحة محاولاً أن يرى ما رأته... باذلاً ما في وسعه لفهم تأويلها المجنون للعالم... ولتقبّل فكرة زواج أخته من ابن صديقه الحميم ألبيرتو...

- كان بإمكاني أن أنظم الحفل بطريقة أفضل في فندق رينالدي!

- ربما!

وهزت كتفيها ساخرة قبل أن تضيف: «من حسن الحظ أنك لم تفعل، وإلا لما تمكّنا من أن نلتقي أبداً.. كنت لتمضي الوقت كله في المطبخ مصمماً على الحصول على أفضل نتيجة...».

وانسمت نبرة صوتها بشيء من الجدية وهي تردف: «من الأفضل أن ندع ألبيرتو يستمتع بتنظيم حفل الزفاف لاسيما بعد التجربة القاسية التي مر بها السنة الماضية».

وافقها لازارو الرأي قائلاً: «معك حق».

- وبمناسبة الحديث عن حفلات الزفاف..

وظهرت ابتسامة خبيثة على شفتيها فيما علت الحمرة خديها..

- أتصدق بأن روكسان ومالفوليو أرسلا إلينا دعوة لحضور حفل زفافهما؟ أتصدق أنهما فعلا ذلك؟

دخلا صالة العرض وحرص لازارو على تجاهل محاولات صاحب الصالة لمناقشة القطعة الفنية التي اختاراها فناوله بطاقة الاعتماد وزوده بكافة التفاصيل المتعلقة بالعنوان الذي ينبغي عليه أن يرسلها إليه.

قال لها عند خروجهما من صالة العرض: «يستحق أحدهما الآخر».

- نعم، والقدر جمعهما معاً..

وضحكت كاتلين ثم تابعت تقول: «علي الاعتراف بأن لي الفضل الأكبر في ذلك... هل أخبرتك بأنني مارست السحر عليها؟».

- مارست السحر عليها؟

قطب لازارو جبينه بينما هو يدفع عربة الطفل وكاتلين تصفق بيديها

بجانبه... لم يكن يتظاهر هذه المرة بأنه لم يفهم كلامها، لأنه لم يفعل حقاً!

- لففت اسمها حول فص من الثوم ووضعته في الثلاجة... وها هي النتيجة!

- هل تقصدين أنك حضّرت لها تعويذة؟

- شيء من هذا القبيل... تمنيت أمنية وانتظرت أن تتحقق...

- تمني أمنية.

أدركت كاتلين أنهما عادا إلى ينبوع تريفي عندما رأت لازارو يمد يده إلى جيبه ليخرج منها قطعة نقدية.

إلا أن كاتلين لم تعد بحاجة إلى إضاعة الأمنيات سدى... لم تعد بحاجة إلى رمي قطعة نقدية أو التحدث إلى النجوم أو تمزيق الصور من المجلات... لأنها أدركت أنّ ما من شيء سيفرق بينهما حتى من دون أن تتمنى ذلك.

- هيا!

ومد يده ليناولها القطعة النقدية لكن كاتلين هزت رأسها قائلة: «تحققت أمنياتي كلها... ماذا عنك؟».

- بقي لدي أمنية واحدة.

ورمى القطعة النقدية في الينبوع وجذبها نحوها قائلاً: «أريد طفلة».

- طفلة؟

- أو طفل... أريد طفلاً آخر يشبه أمه.

- قد نرزق بطفل يشبهك هذه المرة.

- لا يهمني.

وضحك لازارو كما بات يفعل غالباً في الآونة الأخيرة وأضاف: «فلنذهب وننجب طفلاً آخر».